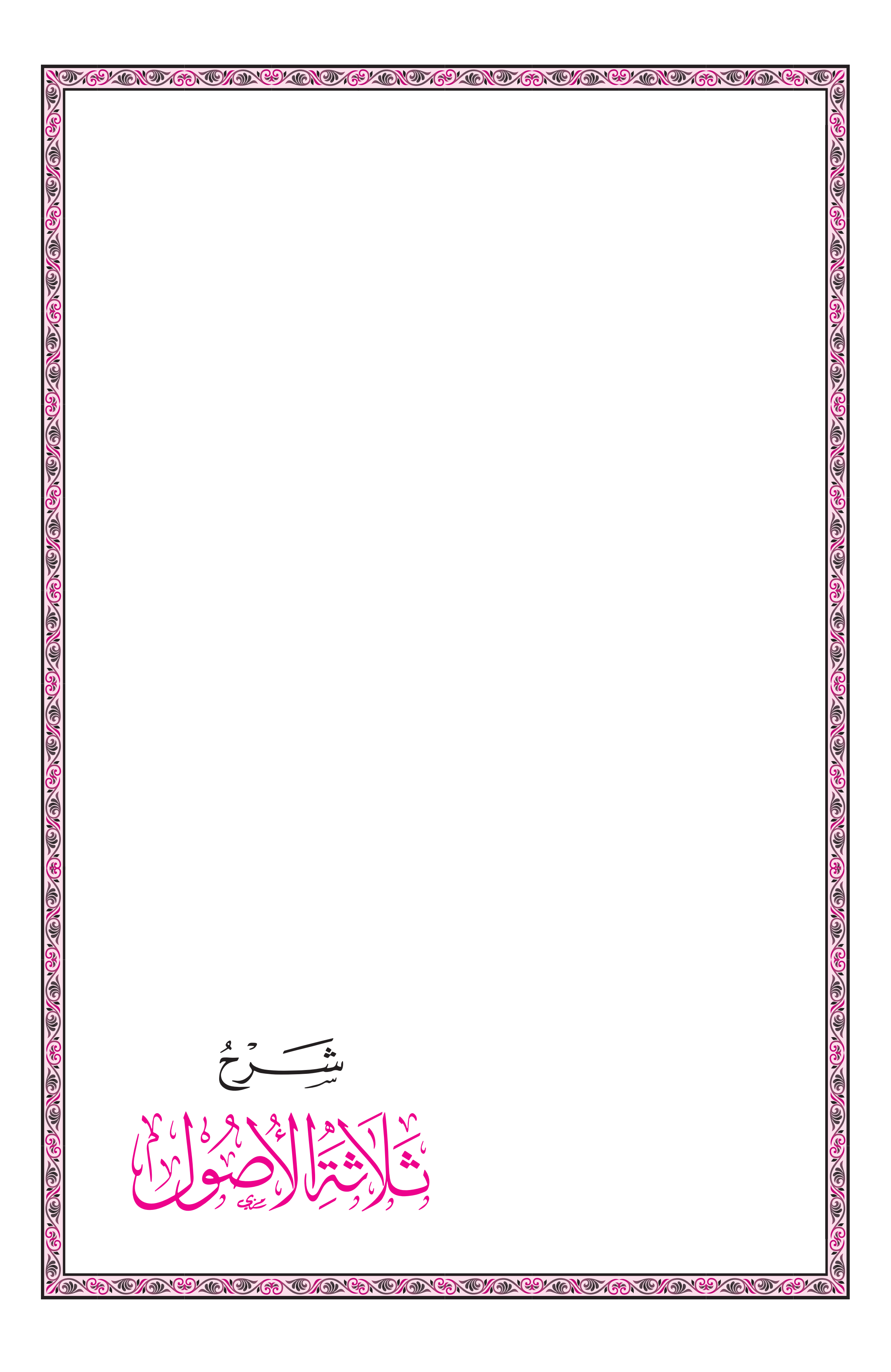

شرح
ثلاثة الأصول

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البداح ، عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله

شـرح ثلاثة الأصول. / عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله البداح .- الرياض ، ١٤٤٢هـ

٢٧٤ ص ؛ ٢٤ سم.- (برنامج التأهيل العقدي ؛ ١)

ردمك: ٢-٢٠-٨٢٥٤-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الاسلامية ٢- التوحيد أ.العنوان ب.السلسلة

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/١٦٠٦

رقم الإيداع: ١٤٤٢/١٦٠٦
ردمك: ٢-٢٠-٨٢٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤
darattawheed@yahoo.com

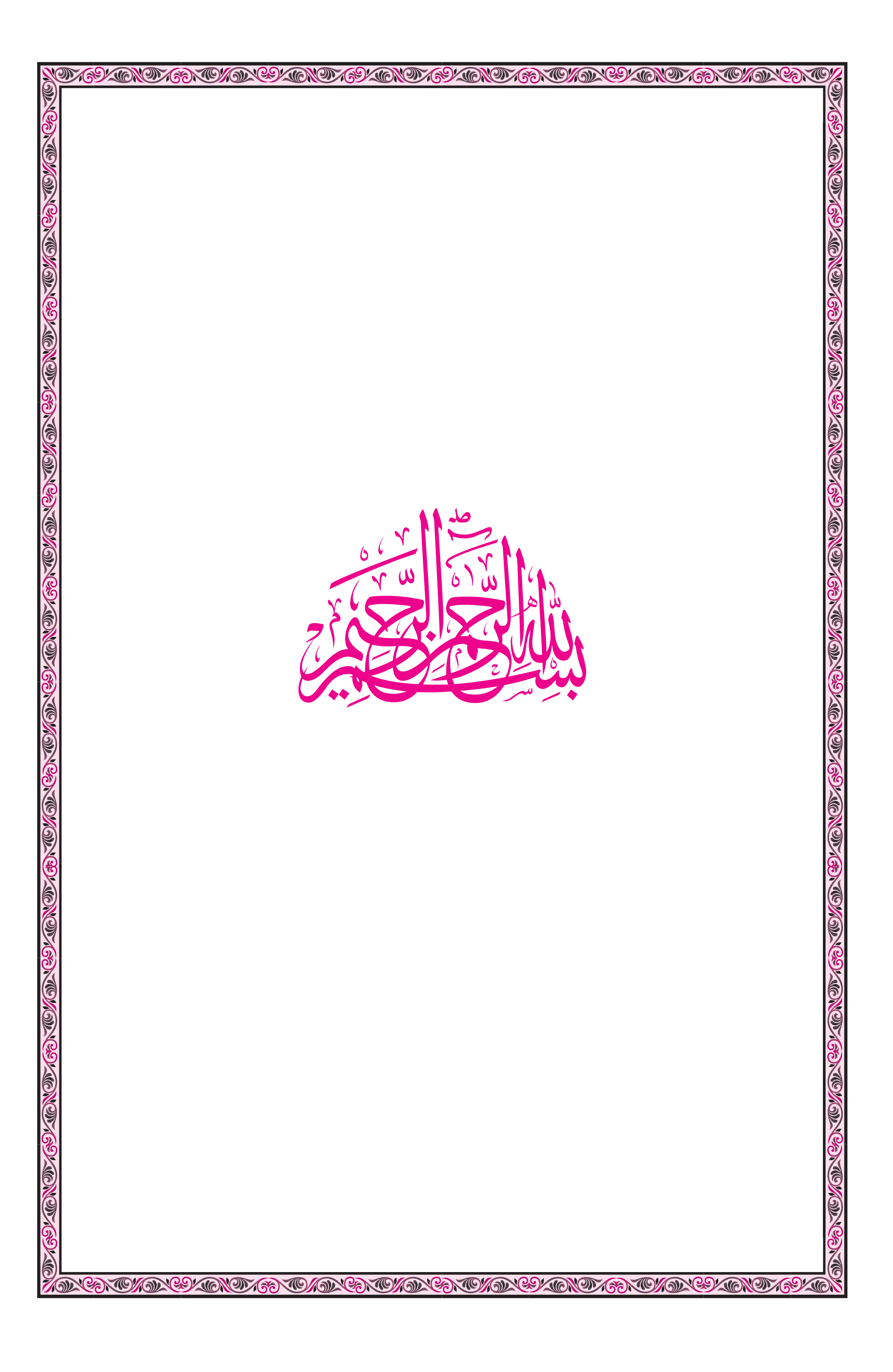
بَرنَامَجُ التَّأهِيلِ العَقَدِيِّ
(١)

شَرحُ
ثَلاثَةِ الأُصُولِ

لِشيخِ الإسلامِ المجدِّد
مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّابِ بنِ سُلَيمانَ التَّمِيمِيِّ
(١٢٠٦هـ)

شَرحُ وَتَعلِيقُ
د. عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله البدّاح

دَارُ التَّوحِيدِ لِلنَّشرِ


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة البرنامج

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد وآله وصحبه، **أما بعد:**

فإنّ الدعوة إلى التوحيد بتعليمه وبيانه للناس أعظم الواجبات، وهو طريقة الأنبياء والرسل؛ لأنّ التوحيد يُدخل العبد الجنة، وينجيه من النار، ويعصمه من الشبهات والشهوات، ويحمله على الطاعات، وهو سبب الصلاح في الأرض.

ومن توفيق اللَّه وفضله عليّ تدريس التوحيد لسنوات على سَنَن التدرج المعروف عند أهل العلم في درجتين.

الدرجة الأولى: التأهيل: شرح ثلاثة الأصول، كتاب التوحيد، كشف الشبهات، لمعة الاعتقاد.

الدرجة الثانية: التأصيل: شرح العقيدة الواسطية، العقيدة الطحاوية.

ورأيت طباعة هذه الشروح تقريبًا للطلاب؛ فقمت بتفريغها من التسجيل، وأضفت عليها ما يُحتاج إليه، وعدَّلت ما يحتاج إلى تعديل.

وسرت في هذا الشرح على الاختصار وبناء بعضه على بعض، مع اختبار الطلاب فيه، وظهر لي أنها طريقة جيدة، ونافعة.

ويضم هذا السِّفر: شرح ثلاثة الأصول، وسأتبعه بما بعده إن شاء اللَّه.

واللَّه أسأل التوفيق والسداد، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه.

وكتب
عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله البداح
٢٩/٤/١٤٣٩هـ
الإيميل: al.bedah@hotmail.com

مقدمة شرح ثلاثة الأصول

من نعمة اللَّه تعالى على العبد المسلم أن يوفقه لطلب العلم ؛ لأن الإنسان بطلبه للعلم يرفع الجهل عن نفسه فيعبد ربه بعلم، وهذا هو طريق المُنعم عليهم ؛ الذين نسأل اللَّه تعالى في كل ركعة من صلواتنا أن يهدينا طريقتهم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

والمُنعم عليهم هم الذين جمعوا بين العلم والعمل. وخالفهم في هذا المغضوب عليهم الذين علموا ولم يعملوا، وخالفهم الضالون الذين عملوا من غير علم، والمؤمن عندما يُوفق للعلم فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وفضلًا عظيمًا، واللَّه عز وجل وصف أهل العلم بأنّهم أهل البصيرة، وأن أهل الجهل أهل العمى فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، ونفى اللَّه عز وجل المساواة بين أهل العلم وغيرهم، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، والعلم هو إرث الأنبياء والرسل، فإنّ الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، ومن وُفق للعلم فقد ترقّى في درجات الكمال في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١]؛ فالناصح لنفسه هو الذي يبذل جهده في تحصيل هذا العلم.

وإذا أراد المسلم أن ينال العلم فعليه بقواعد تعينه على ذلك:

القاعدة الأولى: إخلاص النية، وتجريد القصد، فإنّ العلم من العبادات، والعبادة لا تُقبل إلا إذا كان صاحبها مخلصًا للَّه تعالى في نيته. قال الإمام أحمد: «طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته، قيل: أيّ شيء يصحح النية، قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي الجهل عنه وعن غيره».

القاعدة الثاني: التلقي عن الأشياخ، والأخذ عنهم؛ فإن جادة المتعلمين في القديم والحديث أنهم يأخذون عن الشيوخ ويتلقون عنهم، فرحل جابر بن عبد اللَّه ﷺ مسيرة شهر ليطلب حديثًا واحدا كما عند البخاري، ورحل الإمام أحمد من بغداد إلى صنعاء ليلقى عبدالرزاق بن همام الصنعاني ويأخذ عنه.

القاعدة الثالثة: التدرج في طلب العلم؛ فإن العلم لا يُنال مرة واحدة، قال محمد بن شهاب الزهري أحد أئمة الإسلام: «من رام العلم جملة ذهب عنه جملة»، فالإنسان يتدرج في طلب العلم، وهذا التدرج يأخذ منه وقتًا وجهدًا.

القاعدة الرابعة: الجد والاجتهاد والحرص، وقد قيل: تبذل للعلم كلك عساه أن يعطيك بعضه، فالعلم يحتاج إلى جد واجتهاد وحرص.

القاعدة الخامسة: المذاكرة والمدارسة؛ لأنّ هذا العلم لا يثبت ولا يرسخ إلا بالمدارسة والمذاكرة، فمن لم يدارس العلم ويذاكره، فإنّه يفوت عليه.

هذا الدرس في شرح رسالة «ثلاثة الأصول» وقبل ذلك نقدم بمقدمة

يسيرة في علم العقيدة، نقول فيها: هذا العلم له أسماء، فمن أسمائه: التوحيد، العقيدة، أصول الدين، الفقه الأكبر، الشريعة، السنة، الإيمان. وحملته والقائمون عليه يقال لهم: أهل السنة والجماعة، أهل الحديث، أهل الأثر، أهل الاتّباع، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، السلف.

وهذا العلم له مصادره، وهي على نوعين:

النوع الأول: مصادر أصلية: هي الكتاب، والسنة، والإجماع.

النوع الثاني: مصادر فرعية: هي العقل، والفطرة.

وهذا العلم علمٌ جليل، وأهل العلم يقولون: العلم بشرف المعلوم، فماذا نتعلم في علم العقيدة؟ نتعلم ما يجب للَّه تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وهذا من أسمى المطالب.

وعلم العقيدة: هو الإيمان الجازم بما يجب للَّه تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وهذه الرسالة «ثلاثة الأصول» ألفها الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مجدد القرن الثاني عشر (ت: ١٢٠٦هـ)، قام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فترة انتشر فيها الجهل، والضلال، والشرك، والبدعة وأطبقت على العالم الإسلامي، وانتشرت دعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أرجاء المعمورة، فتأثر بها كثير من علماء العالم الإسلامي من العراق، والشام، ومصر، والمغرب، والهند وغيرها.

هذه الدعوة لها أصول قامت عليها، هي:

أصلها الأول: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك.

أصلها الثاني: محاربة البدع والمحدثات.

أصلها الثالث: تقرير الولاء للَّه ورسوله والمؤمنين، والبراء من الكفر والكافرين.

أصلها الرابع: الدعوة للاجتماع والائتلاف، والبعد عن التفرق والاختلاف.

لم تخرج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أصلها عما دعا إليه الرسل، ونزلت به الكتب، فليست بدين جديد، ولا مذهب خامس، وإنما قام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعوة إلى ما دعا إليه الأنبياء والرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم -، من إخلاص العبادة للَّه تعالى وحده.

وهذه الرسالة اهتم العلماء بشرحها، وتدريسها وعليها عشرات الشروح والتعليقات للشيخ عبد الرحمن بن قاسم، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح آل الشيخ، وغيرهم، وكان الناس في السابق يحفظونها، ويعتنون بها؛ لأنّ فيها تعليمًا للعامة لأصول دينهم.

س: ما موضوع هذه الرسالة؟

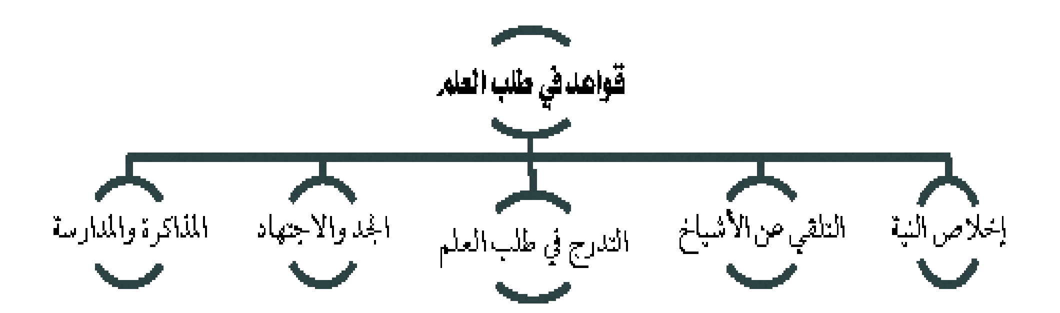
ج: موضوعها: تقرير معرفة العبد ربه ودينه ونبيه.

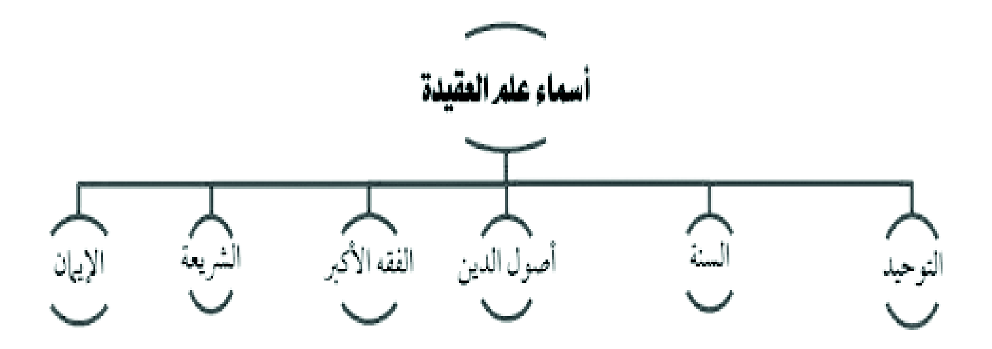
وثلاثة الأصول تختلف عن الأصول الثلاثة؛ فالأصول الثلاثة أخصر من ثلاثة الأصول، والأصول الثلاثة منشورة ضمن (مجموعة التوحيد).

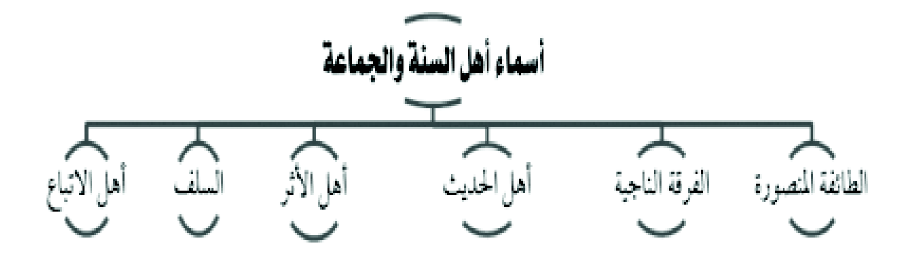
وثلاثة الأصول تبدأ من قوله: «اعلم أرشدك اللَّه لطاعته، أنّ الحنيفية ملة إبراهيم»، لكن قُدم لها بمقدمتين سيأتي بيانها.

* * *

مقدمة شرح ثلاثة الأصول







مصادر علم العقيدة

المصادر الأصلية:

1- القرآن الكريم.

2- السنة المطهرة.

3- الإجماع.

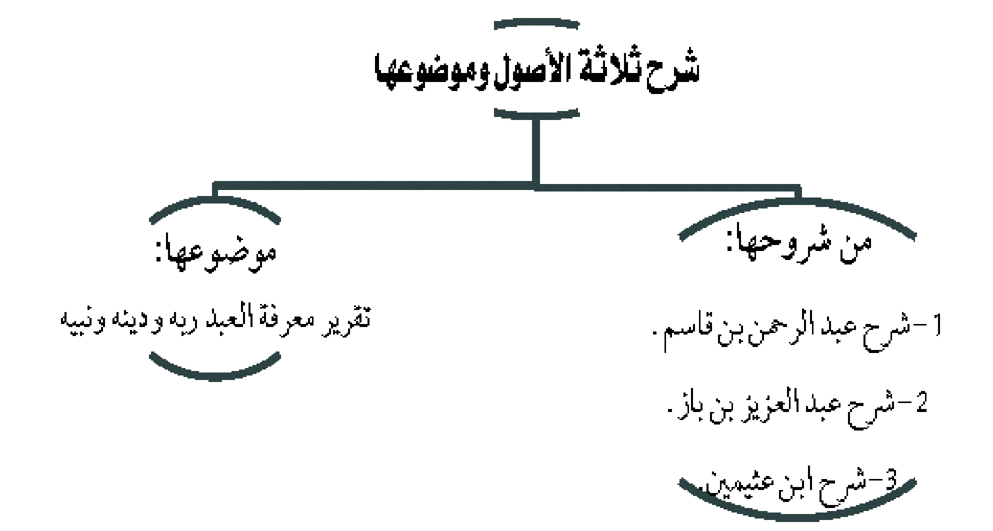
المصادر فرعية:

1- العقل.

2- الفطرة.

أصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ)

- الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك
- محاربة البدع والمحدثات
- تقرير الولاء والبراء
- الدعوة للاجتماع والبعد عن التفرق



قال شيخ الإسلام ومجدد دعوة التوحيد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «ثلاثة الأصول وأدلتها» :

بسم اللَّه الرحمن الرحيم [١] اعْلمْ رَحِمَكَ اللَّهُ [٢] أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ : [٣]

---

[١] ❊ قوله : (بسم اللَّه) .

ابتدأ المؤلف رسالته بـ«**بسم اللَّه الرحمن الرحيم**» ، وعادة العلماء أو الشراح لأيِّ علم من العلوم يذكرون تعليلًا للبداءة بالبسملة ، فيقولون :

الأمر الأول : اقتداءً بالكتاب العزيز ؛ لأنّ القرآن افتتح بالبسملة .

الأمر الثاني : اقتداءً بالسنة القولية ؛ لأنّه جاء في الحديث عند أصحاب السنن : «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم اللَّه فهو أبتر**» وفي رواية : «**أقطع**» ، وفي رواية : «**أجذم**» ، هذا الحديث مختلف في صحته ، والأقرب أنّه حسن لغيره .

الأمر الثالث : عملًا بالسنة الفعلية ؛ لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام كان يفتتح مراسلاته ومكاتباته بالبسملة ، من ذلك كتابه لهرقل عظيم الروم ، المروي في البخاري ، جاء فيه : «**بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد اللَّه إلى هرقل عظيم الروم**» .

[٢] ❊ قوله : (رَحِمَكَ اللَّهُ) .

دعاء للمتعلم ، هذا مما يحسن بالمعلم أنْ يكون رفيقًا ، محبًا ، مشفقًا على المتعلم ، والسنة للإنسان إذا دعا أن يبدأ بنفسه ، جاء عند أبي داود والترمذي كان النبي عليه الصلاة والسلام «إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه» ، جاء في القرآن في دعاء الأنبياء والرسل : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [إبراهيم : ٤١] ، وفي سورة نوح : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح : ٢٨] .

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ [٤].

---

[٣] * قوله: (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ).

العلم نوعان:

النوع الأول: عِلم يجب وجوبًا عينيًّا.

النوع الثاني: عِلم يجب وجوبًا كفائيًّا.

س: ما ضابط ما يجب وجوبًا عينيًّا؟

ج: ما لا يسع المكلف جهله، كأصول الاعتقاد، وأركان الصلاة وشروطها وواجباتها، وصفة الوضوء، وصفة الغسل من الجنابة، وإذا كان عنده مال فيجب عليه معرفة نصابه، والمقدار الذي يجب إخراجه منه، وإذا كان من أهل الصيام فيجب عليه معرفة أحكام الصيام، وهكذا.

العلم الثاني: العلم الكفائي، يعني ما زاد عن ذلك، فيجب تعلمه على من تحصل بهم الكفاية.

[٤] * قوله: (بالأَدِلَّةِ).

أي: يجب على الإنسان أن يتعلم علم العقيدة بدليله، ولا يجوز في علم العقيدة التقليد؛ لأنّه جاء في سؤال الملكين للميت في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عند أحمد وأبي داود «**أنهم يسألون الميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول المنافق: ها ها سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**». فيجب على الإنسان أنْ يعرف علم أصول العقيدة بدليله، ولا يجوز التقليد فيه، أما في علم الفروع فيجوز التقليد لمن ليس من أهل الاجتهاد والنظر في الأدلة.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ [٥].

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ [٦].

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ [٧].

---

[٥] * قوله: (الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ).

هذه ثمرة العلم، قال علي رضي الله عنه: «**العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل**»، جاء في الصحيحين: «**أول من تسعر بهم النار ثلاثة وذكر منهم قارئ القرآن** -وفي رواية: العالم- **يأتي به اللَّه** عز وجل **ويعرفه نعمته فيعرفها، فيقول: ما صنعت فيها؟ فيقول: تعلمت العلم فيك، فيقال له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ثم يأمر به إلى النار**»، فيجب على الإنسان أن يتعلم ليعمل، وأن يحذر أن يكون علمه وبالًا عليه، جاء في صحيح مسلم: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: فُلانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

[٦] * قوله: (الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ).

هذا منهج الأنبياء والرسل.

س: ما الدليل على أنّ منهج الأنبياء والرسل ومنهج نبينا صلى الله عليه وسلم هو الدعوة إلى اللَّه تعالى؟

ج: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأتباع النبي صلى الله عليه وسلم هم الدعاة وهم أهل البصيرة.

[٧] * قوله: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ).

إذا دعا الإنسان فلابد أن يصيبه شيء من الأذى؛ لأنّ الدعوة لا تكون

وَالدَّلِيلُ [٨]: قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ

إلا بمخالطة الناس، جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه: «**الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم**».

وجاءت الإشارة في القرآن إلى أنّه يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حصول الأذى.

س: ما الآية التي فيها أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم منه حصول الأذى؟

ج: قول لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وأكثر الناس أذيةً هم الأنبياء والرسل، جاء في البخاري: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه**»، أفضل الرسل أولي العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، والنبي ﷺ. ما معنى العزم؟ هو عقد القلب على إمضاء الأمر، وهو أبلغ من الصبر.

هذه المراتب الأربع ذكرها ابن القيم رحمه الله في أكثر من كتاب له، ذكرها في «مفتاح السعادة»، و«إغاثة اللهفان»، وفي «زاد المعاد».

وقال في «مفتاح السعادة»: إنَّ الأخذ بهذه المراتب الأربع: العلم، والعمل، والدعوة، والصبر أنها توصل العبد إلى غاية كماله.

وقال في «زاد المعاد»: أنّ هذه الأربع من صفات العلماء الربانيين، وهذا يجعلنا نقول إنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله استفاد من كلام ابن القيم وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما اللَّه.

[٨] * قوله: (وَالدَّلِيلُ).

وهذا نأخذ منه قاعدة أخرى في منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي أنّه يعتمد في كتبه وآرائه، ومقالاته على كتاب اللَّه تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وسيأتي

ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ [٩] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾.

معنا أنّه يحشد النصوص؛ أي نصوص الكتاب والسنة، ويكثر من الاستدلال بها، وهذا منهج أهل السنة والجماعة الذين يعظمون الكتاب والسنة، ويأخذون بهما، ويطرحون ما سواهما، أما غير أهل السنة والجماعة فإنهم يعرضون عن الكتاب والسنة، فيأخذون بالذوق، أو بالكشف، أو بالمنامات، أو بآراء الشيوخ وأقوال الرجال.

*** قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾.**

أقسم اللَّه بالعصر، وهو الزمان، وقيل المراد بالعصر: آخر النهار، وللَّه تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بخالقه.

أين جواب القسم؟ جملة القسم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

أكد اللَّه عز وجل جواب القسم بمؤكدات ثلاثة:

الأول: القسم ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾.

الثاني: بـ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

الثالث: باللام ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾.

فاللَّه عز وجل حكم على الناس بالخسارة، ثم استثنى أهل الإيمان والعمل الصالح الذين تواصوا بالحق وبالصبر.

[٩] * قوله: (قال الشافعي...).

قَالَ البُخَارِيُّ [١٠] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : بَابُ : العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ .

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ [١١] أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ .

الأُولَى : أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا [١٢]، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا

مراد الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أنّ اللَّه تعالى لو ما أنزل على خلقه إلا هذه السورة في باب الإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر لكفتهم .

[١٠] * قوله : (قال البخاري . . .) .

يستدل المؤلف بقول الإمام البخاري محمد بن إسماعيل ، أحد أئمة أهل السنة بأن العلم مُقدّم المرتبة على القول والعمل .

س : أين الأمر بالعلم في الآية ؟

ج : ﴿فَٱعْلَمْ﴾ .

س : أين العمل ؟

ج : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ : فبدأ سبحانه بالعلم قبل العمل .

الذي في البخاري بعد الآية : **(فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ)** أما الزيادة **(قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)** قد تكون في نسخة أخرى ، وقد تكون إضافة من باب إيضاح المعنى .

[١١] * قوله : (اعلم رحمك اللَّه . . .) .

هذا شروع في المقدمة الثانية .

[١٢] * قوله : (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا) .

الخلق والرزق من أفراد توحيد الربوبية .

رَسُولًا ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ ، وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل : ١٥-١٦] .

عند أهل السنة والجماعة التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : توحيد الربوبية .

القسم الثاني : توحيد الألوهية .

القسم الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

ودلَّ على هذا التقسيم : التتبع والاستقراء .

س : ما معنى التتبع والاستقراء ؟

ج : أي أنّ العلماء نظروا في آيات الكتاب والسنة ووجدوها تدل على أنّ التوحيد ثلاثة أنواع .

هذا التقسيم للتوحيد لم يبتدعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ كما يقول ذلك خصومه ، وإنما تكلّم به السلف رحمهم اللَّه ، فقد جاء عن ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد بن جبر ، وعطاء ، والشعبي ، وقتادة ، والضحاك ، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ما يشير إلى هذا التقسيم ، ودلَّ عليه آيات كثيرة ، منها قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، أثبت اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية للمشركين إيمانًا ، وأثبت لهم إشراكًا .

س : ما المراد بـ(الإيمان) في هذه الآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ ؟

ج : الإيمان بالربوبية .

س : ما المراد بالشرك في هذه الآية ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ؟

ج : الشرك في الألوهية .

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾: يقولون بأن اللَّه خلقنا ورزقنا، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ أي: يعبدون غيره، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد بن جبر، وعطاء، والشعبي، وقتادة، والضحاك، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

س: ما السورة التي جمعت أنواع التوحيد الثلاثة؟

ج: «سورة الفاتحة» جمعت أنواع التوحيد الثلاثة.

التوحيد الأول: الربوبية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

التوحيد الثاني: توحيد الألوهية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

التوحيد الثالث: توحيد الأسماء والصفات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وجُمعت أنواع التوحيد الثلاثة في آية واحدة، هي آية مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: إشارة للربوبية.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: إشارة للألوهية.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: إشارة للأسماء والصفات.

توحيد الربوبية: هو إفراد اللَّه بالخلق، والرزْق، والملك، والتدبير، أو نقول: إفراد اللَّه بأفعاله.

س: ما أفعال اللَّه؟

ج: هي الخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء والإماتة، والنفع والضر.

س: هل كان المشركون يقرون بالربوبية؟ أم ينكرونه؟ وما الدليل؟

ج: نعم يقر المشركون بتوحيد الربوبية كما أخبر اللَّه عنهم في آيات كثيرة، قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فالمشركون يقولون: اللَّه خلقنا، ورزقنا، لكنهم يكفرون بأي توحيد؟ بتوحيد

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّه لا يَرْضى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] [١٣].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ [١٤]، وَوَحَّدَ اللَّهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ

الألوهية، فيعبدون غير اللَّه تعالى.

س: هل يكفي توحيد الربوبية في الدخول في الإسلام؟

ج: لا يكفي ذلك، لأنّ المشركين كانوا يقرون به لكن لم يُدخلهم في الإسلام؛ لأنهم لم يقرّوا بلازمه وهو توحيد الألوهية.

هذا التوحيد يسمى الربوبية، العلمي، الخبري، المعرفة.

[١٣] * قوله: (الثانية: أَنَّ اللَّه لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ).

هذا توحيد الألوهية: وهو إفراد اللَّه بأفعال العباد.

س: ما معنى إفراد اللَّه بأفعال العباد؟

ج: أي تعبد اللَّه تعالى وحده؛ تصلي للَّه وحده، تدعو اللَّه وحده، تسجد للَّه وحده، وهكذا في سائر العبادات.

هذا التوحيد يسمى توحيد: الألوهية، العبادة، القصد، العملي، التعلق، الإرادي، الطلبي.

[١٤] * قوله: (أنّ من أطاع الرسول...).

هذه مسألة الولاء والبراء، أو الموالاة والمعاداة، هذان اسمان بمعنى واحد، أي الولاء بمعنى الموالاة، والبراء بمعنى المعاداة.

س: ما الولاء والبراء؟

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ [١٥]: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ

ج: هو محبة اللَّه ورسوله والمؤمنين، والبراء: بغض الشرك وأهله.

ذكر المؤلف هنا قوله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ في هذه الآية نفى اللَّه ﷻ الإيمان عمن يكون في قلبه ودًّا للكافرين.

[١٥] * قوله: (اعلم أرشدك اللَّه...).

بدأ المؤلف في ثلاثة الأصول، وما قبله مقدمة من كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وضعها بعض تلاميذه.

*** قوله: (اعلم أرشدك اللَّه إلى طاعته، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ).**

بعث اللَّه ﷻ الأنبياء والرسل بأصل واحد، وهو الدعوة إلى إخلاص العبادة للَّه تعالى، وأخبر ﷻ أنّه ما أرسل من رسول إلا قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] فكل الأنبياء والرسل دعوا إلى توحيد اللَّه تعالى، وإبراهيم عليه السلام سُمي حنيفا؛ لأنّه مال قصدًا من الشرك إلى التوحيد، والحنيف: المائل من الشرك إلى التوحيد.

بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ [١٦]، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٥].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ [١٧].

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ [١٨].

---

[١٦] * قوله: (وأعظم ما نهى عنه الشرك).

الشرك على نوعين:

النوع الأول: شرك أكبر، يخرج من الملة، وهو صرف شيء من العبادة لغير اللَّه تعالى.

النوع الثاني: شرك أصغر، لا يخرج من الملة، وهو ما ورد في النصوص تسميته شركا، ولم يبلغ درجة الشرك الأكبر.

[١٧] * قوله: (فإن قيل لك: ما الأصول الثلاثة).

[١٨] هذه ثلاثة الأصول: معرفة اللَّه، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه هي التي يُفتن فيها الناس في قبورهم.

س: ما المراد بفتنة القبر؟

ج: المراد بها سؤال العبد في القبر عن ربه ودينه ونبيه.

جاء بيان ذلك في حديث البراء بن عازب عند الإمام أحمد، وأبي داود وغيرهما «أنّ الميت يأتيه ملكان فيقعدانه ويسألانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» هذه تسمى فتنة القبر، وهي التي أشار اللَّه ﷻ إليها في آية إبراهيم ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ [١٩] فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ [٢٠].

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، [٢١] وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

---

[١٩] * قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟).

معرفة اللَّه تعالى فطرية ضرورية، لا تحتاج إلى نظر واستدلال؛ لأنّ اللَّه تعالى ركّب في الفطر الإقرار بوجوده سبحانه، ولا يُعرف أنّ أحدًا أنكر وجود اللَّه إلا ما كان من تظاهر فرعون بذلك، قال اللَّه ﷻ عنه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤].

وجود اللَّه دلّ عليه أربعة أدلة إجمالًا:

الدليل الأول: الشرع، أي القرآن والسنة.

الدليل الثاني: العقل، وهو أنّه لابد لكل شيء موجود من موجد.

الدليل الثالث: الفطرة، ومعنى الفطرة: أي أنّ الناس خلقوا وهم مقرون بوجود اللَّه تعالى، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**» كما في الصحيحين.

الدليل الرابع: الحس؛ أي: الأمر المحسوس، وهذا الأمر المحسوس يظهر في آيات الأنبياء وإجابة الدعاء.

[٢٠] الرب في اللغة: يطلق على الملك، والسيد، والمدبر، والمصلح، والمربي، والقيِّم، والمُنعم واشتقاقه من التربية. وكلمة الرب هنا إشارة إلى توحيد الربوبية.

[٢١] * قوله: (وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ).

العوالم كثيرة، من ذلك عالم السماء، وعالم الأرض، وعالم النبات، وعالم الحيوان وهكذا.

فإن قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ [٢٢]، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] [٢٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] [٢٤].

---

[٢٢] * قوله: (بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ).

أي: علاماته التي أقامها سبحانه للدلالة عليه، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته: السموات والأرض، والآية في اللغة: العلامة الظاهرة الباهرة.

[٢٣] ثم أورد المؤلف آية فُصلت ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]. وفيها الاستدلال بالربوبية على الألوهية.

[٢٤] وأورد آية الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى﴾ أي: يستر ويغطي، ﴿ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ مسخرات يعني مذللات، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الخلق هو الإيجاد، والأمر هو الوحي، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ تبارك: أي: تعاظم، ومعنى الآية: إنّ سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس هو المعبود الذي خلق السموات والأرض.

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ [٢٥]، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] [٢٦]، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] [٢٧].

---

[٢٥] * قوله: (وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ).

العلاقة بين اللفظين: الرب والإله، كالعلاقة بين الإسلام والإيمان، وبين المسكين والفقير: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وهذا من جهة الشرع لا من جهة اللغة؛ لأنّ الرب في اللغة ليس من إطلاقاته: المعبود.

[٢٦] * قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ . . .).

س: ما العلاقة بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية؟

ج: أهل العلم يقولون: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، أي إذا جاء إنسان وقال: أنا أقر واعترف بأن اللَّه خالق رازق، فماذا يلزم من هذا؟ يلزمه أن يعبده.

وقولنا: توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، ما معنى ذلك؟

ج: أي أنّ من عبد اللَّه فإنه مقر بأنه هو الخالق الرازق ولولا إقراره بذلك لما عبده.

واللَّه ﷻ في آيات كثيرة يجعل الربوبية دليلًا على الألوهية، كما في آية البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، هنا أمر بتوحيد الألوهية.

[٢٧] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ﴾: هذا توحيد الربوبية، فجعل سبحانه توحيد الربوبية مستلزمًا لتوحيد الألوهية، وهذا كثير في القرآن.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ [٢٨] .

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ [٢٩] الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ : الإِسْلام، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ : الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ،

---

[٢٨] كلام ابن كثير يؤكد هذه القاعدة : أنّ الربوبية يستلزم الألوهية، والألوهية متضمن للربوبية .

[٢٩] * قوله : (وأنواع العبادة . . .) .

شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أنواع العبادة . وتنوعت عبارات العلماء في تعريف العبادة، فبعضهم قال : كل ما أمر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ به فهو عبادة، وبعضهم قال : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ .

والعبادة لها أركان، فما أركان العبادة؟

- المحبة .
- الخوف .
- الرجاء

وشروط قبول العبادة، هي :

- الإخلاص للَّه .
- والمتابعة لرسول اللَّه ﷺ .

والعبادات أنواع :

- عبادات بدنية .
- وعبادات قولية .
- وعبادات قلبية .
- وعبادات مالية .

البدنية مثل : الصلاة، والقولية مثل : ذكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وقراءة القرآن، والقلبية مثل : الخوف والرجاء والتوكل، والمالية مثل : الزكاة، والصدقة، والنذر، ونحوها .

وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨] [٣٠].

---

[٣٠] * قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

هذا الدليل دليلٌ عامٌّ في أنّه لا يجوز صرف العبادة لغير اللَّه، وأنّ العبادة حق للَّه تعالى، ثم سيذكر المؤلف بعد ذلك دليلًا خاصًّا لكل نوع من أنواع العبادة التي أوردها، وأورد هنا آية الجن ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ والمساجد: بيوت اللَّه المعدة لعبادته، هذا هو المشهور، وقيل إنّ المراد بالمساجد: مواضع السجود من العبد.

ما هي مواضع السجود؟ الأعضاء السبعة التي جاءت في الصحيح من حديث عبد اللَّه ابن عباس: «**أمرت أن أسجد على سبعة أعظم**»، وبعضهم يقول: إنّ المراد بالمساجد هنا كل البقاع، كل بقعة على الأرض فهي مسجد، ويستدلون على هذا بالحديث المخرّج في الصحيحين: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»، وبعضهم يقول: إنّ المساجد المراد بها الصلوات، وبعضهم يقول: إنّ المراد بالمساجد الكعبة؛ لأنّ الناس يسجدون إليها، أي يتوجهون إليها في صلاتهم، والمشهور هو القول الأول، ثم الثاني.

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: الدعاء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دعاء عبادة. فكل عبادة فهي دعاء، لماذا؟ ج: لأنّ الدعاء إلى الشيء الحث على قصده، والمؤمن يقصد اللَّه بمحض العبادة، فتكون كل عبادة دعاء، لأن المؤمن يقصد اللَّه بها، كما يقصده بالدعاء، والدليل قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، والمعنى: آخر دعائهم،

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. [٣١].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. [٣٢].

وهذا محض عبادة كما ترى ولا مسألة فيه.

القسم الثاني: دعاء مسألة؛ أي: طلَب، وهو سؤال اللَّه؛ كربِّ اغفر لي، ربِّ ارحمني، ربِّ ارزقني؛ لأن الدعاء في اللغة يراد به استمالة شيء إلى شيء، ودعاء اللَّه بكذا: طلبٌ واستمالة إلى مسألة.

﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: يشمل النوعين جميعًا، يشمل دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فلا نعبد إلا اللَّه، ولا ندعو إلا اللَّه.

[٣١] * قوله: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ).

من صرف شيئًا من هذه العبادات لغير اللَّه فهو مشرك كافر.

ما العلاقة بين هذين الاسمين الشرك والكفر؟ قيل: إنّ العلاقة ترادف؛ أي: أنّ الشرك هو الكفر، والكفر هو الشرك.

وبعضهم يقول: الكفر أعم من الشرك، فالشرك كفر، لكن ليس كل كفر شرك، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشرك، وهذا أظهر القولين.

[٣٢] * قوله: (وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»).

بدأ يذكر المؤلف الأدلة على كل نوع من أنواع العبادة، فذكر الدليل الأول على النوع الأول وهو الدعاء الثابت في الرواية: «الدُّعَاءُ هو الْعِبَادَةِ»، وسبق أن

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] [٣٣].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا

بينا أنّ الدعاء دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وإذا ورد الدعاء في القرآن فالأصل أن يُحمل على المعنيين جميعًا ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ أي: أجيب دعوتكم إذا كان المراد دعاء المسألة، أو أثيبكم إذا كان المراد دعاء العبادة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين ذليلين.

[٣٣] * قوله: (ودليل الخوف).

الخوف عبادة قلبية، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، والخوف على أنواع:

النوع الأول: الخوف الطبيعي، كالخوف من السبع واللص، هذا ليس له علاقة بالعبادة.

النوع الثاني: الخوف من الناس أن يأمرهم بالمعروف أو ينهاهم عن المنكر، هذا محرم.

النوع الثالث: خوف السر، ما معنى خوف السر؟ أن يخشى في قلبه أن يصيبه غير اللَّه تعالى بأذى، وهذا الذي ذكره اللَّه ﷻ عن قوم هود ﵇، لما قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]، وهذا الذي نفاه إبراهيم عن نفسه في سورة الأنعام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ [الأنعام: ٨١]؛ أي: خوف السر أن تصيبني هذه الآلهة بأذى، فإبراهيم ﵇ أنكر على قومه وتعجّب أن يظنوا أنّه يخاف معبوداتهم أن تصيبه بأذى، هذا يسمى خوف السر، وهو شرك أكبر.

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] [٣٤].

ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٢٣]،

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] [٣٥].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] [٣٦].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ الآية [البقرة: ١٥٠] [٣٧].

---

* قوله: (ودليل الرجاء).

[٣٤] الرَّجَاءِ: هو الطمع فيما عند اللَّه، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾؛ أي: يأمل.

لقاء ربه؛ أي: رؤيته.

[٣٥] * قوله: (ودليل التوكل).

التوكل: عبادة قلبية، وهو: الاعتماد على اللَّه تعالى، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عبادة خالصة للَّه تعالى، لا يجوز فيها التشريك، فلا أقول: أتوكل على اللَّه ثم على فلان.

[٣٦] * قوله: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ).

الرغبة: هي غاية الرجاء، والرهبة: مخافة مع تحرز واضطراب، والخشوع: هو الخضوع والتذلل.

[٣٧] * قوله: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ).

ما الفرق بين الخوف والخشية؟

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ الآية [الزمر: ٥٤] [٣٨].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ [٣٩]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «. . . **وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الناس: ١] [٤٠].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ

١- الخشية تكون عن علم بالمخشي جل وعلا، ولهذا قال سبحانه عن العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، أما الخوف فهو لضعف الخائف.

٢- الخوف لا يطول أثره، أما الخشية فيطول أثرها.

[٣٨] * قوله: (وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ).

الإنابة: هي الرجوع، والتوبة إلى اللَّه عز وجل.

[٣٩] * قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ).

الاستعانة: هي طلب العون، والعون: المعاونة والمظاهرة، وتكون شركًا عندما يطلب العون من الغائبين أو الأموات، أو من حاضر لا يقدر على ذلك.

[٤٠] * قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ).

الاستعاذة: طلب العوذ. والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به. والفلق: الصبح، ويؤيده الاشتقاق، وقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، وقيل: الخلق. فمن استعاذ بغير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى، فقد أشرك شركًا أكبر.

لَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٩] [٤١].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» [٤٢].

---

[٤١] * قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ).

الاستغاثة: طلب الغوث، والغوث: النصرة، وهي على نوعين:

١- طلب الغوث من حي قادر، فهذا جائز أو مشروع.

٢- طلب الغوث من الأموات أو الغائبين أو من الحي فيها لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى، فهذا شرك أكبر.

[٤٢] * قوله: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ).

المراد بالنسك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الذبح، وقيل: العبادة.

والذبح على أنواع:

النوع الأول: الذبح بغير اسم اللَّه تعالى، لو قال عند الذبح: باسم المسيح، أو قال: باسم الحسين، أو قال: باسم النبي، فهذا شرك أكبر.

النوع الثاني: الذبح لقصد تعظيم غير اللَّه تعالى ولو سمى اللَّه، فلو جاء بالذبيحة وقال: باسم اللَّه، لكنه قصد بهذه الذبيحة تعظيم الولي، أو النبي، يكون شركًا أكبر.

النوع الثالث: الذبح الواجب أو المستحب مما أوجبه الشرع واستحبه كالهدي والأضحية وإكرام الضيف والنفقة على الأهل.

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] [٤٣].

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ [٤٤].

---

[٤٣] * قوله: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ).

النذر: إلزام المكلف نفسه عبادة ليست واجبة عليه بأصل الشرع؛ مثل أن يقول: للَّه علي نذر إنْ شفا مريضي، أو للَّه علي نذر أنْ أصلي ركعتين، أو أصوم كذا، وهذا جائزٌ مع الكراهة.

والنذر الشركي له صور:

١- عقد النذر لغير اللَّه، لو قال: للحسين علي إن شفا مريضي أن أتصدق بكذا، فهذا شرك أكبر.

٢- عقد النذر للَّه لكن يصرفه لغير اللَّه؛ كتقديم النذور للأضرحة أو نثر الدراهم عليها، فهذا من الشرك الأكبر.

[٤٤] * قوله: (الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ).

هذا الأصل الثاني: (**مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ**)، وقلنا بالأدلة كي يخرج: التقليد، يجب أن يعرف أصول الاعتقاد بالدليل.

الإسلام له إطلاقان:

الإطلاق الأول: الإطلاق العام، وهو دين الرسل جميعًا.

س: ما الدليل على أنّ دين الأنبياء والرسل هو الإسلام؟

ج: قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فالأنبياء والرسل جميعًا دينهم الإسلام.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ [٤٥].

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المرتبة الأولى: الإسلام.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللَّهُ.

وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ. [٤٦]

الإطلاق الثاني: الإطلاق الخاص، وهو دين النبي ﷺ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

[٤٥] ثم عرّف الإسلام، فقال: (**الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**)؛ أي: أن يكون موحدًا في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، (**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**)؛ أي: أن يكون مطيعًا للَّه تعالى ولرسوله ﷺ، (**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**) هذا سبق بيانه.

[٤٦] * قوله: (شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللَّهُ).

الشهادة لها معنى وأركان وشروط.

س: ما معنى (لا إله إِلا اللَّهُ)؟

ج: معناها: لا معبود بحق إلا اللَّه، أي أنّ الإنسان إذا قال: (لا إله إِلا اللَّهُ) أي: يعتقد أنّه لا يستحق العبادة إلا اللَّه وحده.

والكفار كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة، ولهذا أَبَوْا أن يقولوها، فقالوا مستنكرين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؛ لأنهم إذا قالوها لزمهم من ذلك أن يتركوا عبادة غير اللَّه تعالى، وبعض المسلمين اليوم لا يعرف معنى هذه الكلمة، وأحيانًا يقول هذه الكلمة لكنه يرتكب ما يناقضها؛ أي يقول: (لا إله إِلا اللَّهُ) وهو يدعو غير اللَّه، يقول: (لا إله إِلا اللَّهُ) وهو يذبح لغير اللَّه، فهو لا يعرف معناها، أو يقولها ويرتكب ما يناقضها.

س: ما أركان (لا إله إِلا اللَّهُ)؟

ج: أولًا: النفي. ثانيًا: الإثبات.

الركن الأول: (لا إله) هذا نفي، ما معنى النفي؟ أي: أنفي العبادة عن غير اللَّه تعالى.

الركن الثاني: (إِلا اللَّهُ) هذا الإثبات، ما معنى الإثبات؟ أي أثبت العبادة للَّه وحده.

فيكون معنى (لا إله إِلا اللَّهُ) أنني أنفي العبادة عن غير اللَّه، وأثبتها للَّه وحده.

س: ما شروط (لا إله إِلا اللَّهُ)؟

ج: دلت النصوص على أنّ شهادة (لا إله إِلا اللَّهُ) لها شروط، لا نتفع صاحبها إلا بتحققها، هي:

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل، والمراد: العلم بمعناها.

وَتَفْسِيرُهَا : الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] [٤٧].

الشرط الثاني: الإخلاص المنافي للرياء، والمراد: أن يقصد وجه اللَّه بقولها.

الشرط الثالث: اليقين المنافي للشك، والمراد: أن يقولها مستيقنًا.

الشرط الرابع: القبول المنافي للرد، والمراد: أن يقبلها.

الشرط الخامس: الانقياد المنافي للترك، والمراد: أن ينقاد لما تقتضيه من عبادة اللَّه وحده.

الشرط السادس: المحبة المنافية للبغض، والمراد: محبتها ومحبة أهلها.

الشرط السابع: الصدق المنافي للكذب، والمراد: أن يكون صادقا في قولها.

وبعض أهل العلم يضيف شرطًا ثامنًا: الكفر بما يعبد من دون اللَّه.

قال الشيخ حافظ الحكمي في هذه الشروط:

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك اللَّه لما أحبه

وجُمعت هذه الشروط في قول القائل أيضًا:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقكَ ... مع محبةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها

[٤٧] * قوله: (وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا).

أي: تفسير (لا إله إلا اللَّهُ)، وبيان معناها الذي يوضحها، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾.

وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] [٤٨].

وَدِليلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ [٤٩]، وَتَصْدِيقُهُ

س: أين النفي في الآية؟

ج: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾.

س: أين الإثبات؟

ج: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

[٤٨] قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

س: أين النفي في الآية؟

ج: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

س: أين الإثبات؟

ج: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

[٤٩] * قوله: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ).

والطاعة: الائتمار لما أُمر، وهي: من الطوع؛ وهو الانقياد، وأطاعه:

فِيمَا أَخْبَرَ [٥٠]، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ [٥١]، وأَلا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلا بِمَا شَرَعَ .[٥٢]

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ [٥٣].

انقاد له.

[٥٠] * قوله: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ).

التصديق ضد التكذيب، واشتقاقه من الصدق، والصدق: مطابقة القولِ الضميرَ والمُخْبَر عنه معًا، والمراد تصديق خبر النبي عليه الصلاة والسلام.

[٥١] * قوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ).

الاجتناب: المباعدة والمفارقة، والنهي: طلب الكف

والزجر: طردٌ ومنع عن ارتكاب المحظور.

[٥٢] * قوله: (وأَلا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلا بِمَا شَرَعَ).

هذا يسمى الاتباع، وضده الابتداع في الدين.

[٥٣] * قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ).

هنا ذكر المؤلف المرتبة الثانية من مراتب الدين، وهي: الإيمان.

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ. [٥٤]

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» [٥٥].

الإيمان عند أهل السنة: قولٌ وعملٌ واعتقاد.

قول اللسان، وعمل الجوارح، واعتقاد القلب، وعلى هذا دلت آيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، ذكر منها المؤلف هذا الحديث: «**الإيمان بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**» شعبة: فرع الشيء والطائفة منه.

[٥٤] قال ﷺ: «**فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**»، ذكر ﷺ ما يتضمنه الإيمان من: القول، والعمل، والاعتقاد.

القول: (قَوْلُ لا إله إلا اللَّهُ).

العمل: (إِمَاطَةُ الأَذَى)؛ أي: إزالة الأذى.

الاعتقاد: (الْحَيَاءُ).

[٥٥] * قوله: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»).

- **الأول: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:**

الأمر الأول: الإيمان بوجوده.

الأمر الثاني: الإيمان بربوبيته.

الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته.

الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

• الثاني: (وَمَلائِكَتِهِ):

الملائكة عالم غيبي، ما معنى غيبي؟ أي: من عالم الغيب وكل من غاب عنك فهو غيب؛ لأنّ العالم: عالم الغيب، وعالم الشهادة ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، عالم الغيب: أي ما غاب عنا، وعالم الشهادة: ما نشاهده، فالملائكة عالم غيبي، مخلوقون من نور، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

الإيمان بالملائكة يتضمن أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجودهم على الإجمال.

الأمر الثاني: الإيمان بمن سمى اللَّه منهم، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل.

الأمر الثالث: الإيمان بأعمالهم، جبريل الموكل بالوحي، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وميكائيل الموكل بالقطر والنبات، وهكذا...

الأمر الرابع: الإيمان بصفاتهم، الخَلقية، والخُلُقية على ما ورد في الكتاب والسنّة.

من صفاتهم الخَلقية: أنّ لهم أجنحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]، ورأى النبي عليه الصلاة والسلام «جبريل له ستمائة جناح قد سد الأفق». رواه البخاري.

ومن صفاتهم الخُلقية: الحياء، جاء في صحيح مسلم: «**ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة**».

• الثالث: (وكتبه):

الإيمان بالكتب يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: نؤمن بأن اللَّه تعالى أنزل على أنبيائه كتبا على وجه الإجمال.

الأمر الثاني: نؤمن بما سمى اللَّه تعالى من الكتب، مثل: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى.

الأمر الثالث: أنّ القرآن الكريم هو المهيمن عليها، والناسخ لها.

- **الرابع: (ورسله):**

الإيمان بالرسل يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: يجب الإيمان بأنّ اللَّه تعالى بعث رسلا، لا نعلم عددهم، كما قال ﷻ: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فنؤمن بأنّ اللَّه تعالى أرسل رسلًا، وما ورد في تعداد الأنبياء والرسل عند الإمام أحمد من حديث أبي ذر، فيه ضعف.

الأمر الثاني: نؤمن بمن سمّى اللَّه تعالى منهم، والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون نبيًا ورسولًا، وأفضل الأنبياء والرسل هم أولوا العزم المذكورون في آية الشورى وآية الأحزاب، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وأفضل أولي العزم الخليلان، وهما: إبراهيم ومحمد صلى اللَّه عليهما وسلم، وأفضلهما محمد ﷺ.

الأمر الثالث: نؤمن بأنّ خاتمهم محمد ﷺ.

- **الخامس: (وَالْيَوْمِ الآخِرِ):**

اليوم الآخر: ما يكون بعد الموت، من فتنة القبر وعذاب القبر، ونعيمه، والبعث، والحشر، والحساب، والعرض، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة، والنار.

والإيمان به هو الاعتقاد الجازم بذلك.

- **السادس: (الْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ):**

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ : قَوْلُهُ تعَالَى : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ودليل القدر : قَوْلُهُ تعَالَى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] [٥٦].

الإيمان بالقدر : أن تؤمن بأنّ اللَّه علم بالأشياء قبل وقوعها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وخلقها وشاءها.

أركان أو مراتب القضاء والقدر أربعة :

الركن الأول : العلم. **الركن الثاني :** الكتابة.

الركن الثالث : الخلق. **الركن الرابع :** المشيئة.

العلم : أي علم اللَّه بالأشياء قبل وقوعها.

الكتابة : أنّ اللَّه تعالى كتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

الخلق : أي أنّ اللَّه خالق الأشياء.

المشيئة : يعني أنّه لا يكون في الكون إلا ما شاءه سبحانه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

[٥٦] * قوله : (والدليل على هذه الأركان).

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ : أي : ليس الخير الكثير.

جاء ذكر أركان الإيمان الخمسة الأُوَل في آية النساء في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وجاء ذكر القدر في قوله : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ [٥٧].

وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، كما في الحديث: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أخبرني عن الإسلام، قال رسول اللَّه ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أنْ لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا رسول اللَّه وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ**

---

[٥٧] * قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ).

الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها، وعرّفه النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

لَمْ تكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [٥٨].

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»[٥٩].

---

[٥٨] * قوله: (قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ).

الإحسان شامل للدين كله، فيدخل في الإسلام والإيمان. والمراد به: تحسين الباطن والظاهر. جاء الإحسان في القرآن الكريم مقترنًا بالإسلام والإيمان، قال اللَّه تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

والإحسان نوعان:

الأول: إحسان إلى الخلق. وهو أداء حقوقهم وبذل الخير لهم.

الثاني: الإحسان مع الخالق. وهو المقصود في الحديث.

[٥٩] * قوله: (فأخبرني عن أماراتها).

الأمارات: العلامات. والمراد: أشراط الساعة.

في رواية: (ربها)، وفي رواية: (بعلها).

معنى (ربها)؛ أي: سيدها مالكها، و(ربتها): سيدتها مالكتها.

واختُلف في المراد بذلك على أقوال:

فقيل: إخبار عن كثرة السراري وأولادهن، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها.

قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟**»[٦٠].

«**يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟**» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم**». [٦١]

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ:

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًّا ورسولًا. نُبِّئَ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [٦٢].

وقيل: إنَّ الإماء يلدن الملوك فتكون أمّه من جملة رعيته.

وقيل: يكثر العقوق، فيعامل الولد أمّه معاملة السيد أمته.

[٦٠] * قوله: (قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا).

في رواية: (ثلاثة) أي: ثلاثة أيام. ومعنى مليا: مدةً من الزمان.

[٦١] * قوله: («هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»).

فجبريل هنا تمثل بصورة رجل، وجاء عند النسائي «أنّ جبريل ينزل في صورة دحية الكلبي».

[٦٢] * قوله: (نُبِّئَ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾).

هذا فيه الفرق بين النبي والرسول، والفرق المشهور:

أنّ النبي: من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهاجر إلى المدينة.

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]. ومَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ[٦٣].

وهذا على شهرته فإنه ضعيف، لأن أهل العلم مأمورون بالتبليغ فكيف بالأنبياء؟!

بعض أهل العلم يقول:

إنّ النبي: من أوحي إليه بشرع من قبله وبعث إلى قوم موافقين له، مثل أنبياء بني إسرائيل.

والرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين.

هذا التعريف اختاره ابن تيمية.

ولعل الصواب في الفرق بينهما:

أن النبي من بعث بشرع غيره مجددًا له؛ كأنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام.

والرسول من بعث بشرع جديد وكتاب جديد.

وهذا واضح في رسالة داود وعيسى عليهما السلام بعد موسى عليه السلام.

[٦٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: أي: المتدثر بثيابك.

﴿وَثِيَابَكَ﴾: المراد: الثياب الظاهرة المعروفة، وقيل: قلبك. وقيل: عملك.

﴿فَطَهِّرْ﴾: الأمر بتطهيرها من النجاسة، وقيل: نفسك فنقّها من المصايب، وقيل: طهر أي: قصّر، يعني شمر ثيابك.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: أي: لا تعط مبتغيًا بعطائك أكثر منه.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ [٦٤].

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ [٦٥]، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ.

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ [٦٦]، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

---

* قوله: (أخذ على هذا عشر سنين).

[٦٤] دعوته عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد لم تكن خاصة بمكة، بل استمر ﷺ يدعو إلى التوحيد وهو في المدينة، بل في آخر حياته كان يدعو إلى التوحيد، لما كان يقول: «**لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». أخرجه البخاري.

[٦٥] * قوله: (وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ).

وقع الإسراء للنبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء، وكان هذا قبل الهجرة، وعُرج بروحه وجسده، لا كما يقول بعضهم: إنّه كان بالروح فقط، أو إنّه كان منامًا.

[٦٦] * قوله: (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).

تجب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام بشرطين:

الشرط الأول: ألا يكون قادرًا على إظهار دينه في بلد الكفر.

الشرط الثاني: القدرة على الهجرة.

جاء في الصحيح أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا هجرة بعد الفتح**»،

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «**لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ اللَّهِ

يعني بعد فتح مكة، وفي الحديث الذي أورده المؤلف: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة**».

س: كيف نجمع بينهما؟

ج: إنَّ الهجرة من مكة لم تعد مشروعة؛ لأنَّها أصبحت بالفتح بلد إسلام، فالمقصود (لا هجرة بعد الفتح) يعني لا هجرة من مكة؛ لأنها بعد الفتح أصبحت دار إسلام.

وَسَلامُهُ عَلَيْهِ – [٦٧].

وَدِينُهُ بَاقٍ [٦٨]، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ [٦٩]، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ [٧٠]، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

---

[٦٧] * قوله: (وَتُوُفِّيَ ﷺ).

لأنّ اللَّه ﷻ يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وفي هذا ردٌ على غلاة الصوفية الذين يعتقدون أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حي، وبعضهم يزعم أنّه يصافحه في اليقظة، ويلقاه، ويأخذ عنه.

[٦٨] * قوله: (ودينه باق).

يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ما جاء في النصوص من البشارة بظهور الإسلام وعلو الدين وبقائه إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك**». أخرجه بهذا اللفظ مسلم وأصله في الصحيحين.

[٦٩] * قوله: (لا خير إلا دلّ الأمة عليه..).

هذا من كمال نصحه لأمته ﷺ أنْ دلَّهم على كل خير وحذَّرهم من كل شر، قال ﷺ: «**تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**». أخرجه ابن ماجه.

[٧٠] * قوله: (وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ..).

أعظم الأوامر: التوحيد، وأعظم النواهي: الشرك، وهذا يدعونا إلى

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً [٧١]، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأكمل اللَّه به الدين [٧٢].

والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

الاهتمام بتعليم التوحيد، وتحذير الناس من الشرك، ولا يصح أبدًا أن يقال إنّ الناس يعرفون التوحيد فلا يحتاجون إلى تعلمه وتعليمه، أو أنّ الناس يعرفون الشرك فلا يحتاجون إلى التحذير منه.

[٧١] * قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً..).

هذا رد على طائفة من النصارى ممن يقولون: إنَّ النبي عليه الصلاة والسلام بُعث إلى العرب خاصة، بِعْثَةُ النبي عليه الصلاة والسلام عامة، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام؛ لأنّ كلَّ نبي يُبعث في قومه خاصة، إلا النبي عليه الصلاة والسلام بُعث إلى الناس عامة.

[٧٢] * قوله: (وأكمل اللَّه به الدين..).

إذا قرّرنا كمال الدين، فإننا نرد على المبتدعة الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به اللَّه؛ لأنَّ من لازم بدعهم أنّ الشريعة ناقصة.

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ [٧٣]؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

---

[٧٣] * قوله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ).

ركّز القرآن الكريم على تقرير ثلاث قضايا رئيسة:

الأمر الأول: الألوهية.

الأمر الثاني: البعث.

الأمر الثالث: نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

والقرآن أقام دلائل على وقوع البعث وإعادة الأرواح إلى الأجساد، منها:

الدليل الأول: إنزال المطر وإنبات الأرض، وحاصل هذا الدليل الاستدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات، قال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥-٦]، وهذه الآية لها نظائر في القرآن.

الدليل الثاني: خلق السموات والأرض ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، يعني إذا كان اللَّه ﷻ خلق السموات والأرض على عظمتها، أليس سبحانه القادر على أن يعيد خلق الإنسان؟

الدليل الثالث: الاستدلال بالنشأة الأولى، ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦]. ومعلوم بداهةً أنّ الإعادة أهون من البداءة.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام [٧٤].

س: مضى ذكر اليوم الآخر، فلماذا أعاده المؤلف مرة ثانية؟

ج: لأنَّه كان في زمن الشيخ بعض البادية ينكرون البعث، والشيخ ذكر هذا عنهم في بعض رسائله.

س: من المنكرون للبعث؟

ج: ١- المشركون.

٢- الفلاسفة الدهريون.

٣- الفرق الباطنية كالإسماعيلية، والدروز، والنصيرية.

٤- الديانات الوضعية كالبوذية والهندوسية ونحوها.

[٧٤] * قوله: (وأولهم نوح..).

أول الرسل نوح عليه السلام، قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، وجاء في حديث الشفاعة الطويل: «**أنهم يأتون إلى نوح** عليه السلام، **ويقولون: أنت أول رسول أرسله اللَّه إلى أهل الأرض**» أخرجه البخاري.

وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ [٧٥] وهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء : ١٦٣] .

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِا رَسُولًا [٧٦] مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ ؛ وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] . وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ [٧٧] .

فهذا دليل صريحٌ على أنّ نوحًا عليه السلام هو أول الرسل .

[٧٥] * قوله : (وآخرهم محمد . .) .

آخر الأنبياء محمد ﷺ ، كما قال تعالى : ولكن رسول اللَّه وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب : ٤٠] . وفي الصحيحين : «**وأنا خاتم النبيين**» .

في هذا رد على مدعي النبوة ، قال ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنّه رسول اللَّه**» أخرجه البخاري ومسلم . وعند الترمذي : «**وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**» .

[٧٦] * قوله : (وكل أمة بعث اللَّه إليها رسولًا . .) .

بعث اللَّه الأنبياء والرسل لدعوة الناس إلى عبادته وحده وإبطال عبادة ما سواه ، كما حكى تعالى عن كل واحد منهم في سورة الأعراف أنّه قال لقومه : ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

[٧٧] * قوله : (وافترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله) .

يشير المؤلف إلى ركني الشهادة : النفي والإثبات ، كما قال تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ [٧٨]، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ [٧٩]، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ [٨٠]، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ [٨١]؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ

وتنوّعت عبارات المفسرين في المراد بالطاغوت، فقيل: الشيطان، وقيل: الكاهن، وقيل: الساحر، وقيل: الأصنام، وقيل: مردة الجن والإنس، وهذا من اختلاف التنوع، لا التضاد، ويجمع هذه الأقوال أن يقال: الطاغوت كل ما عُبد من دون اللَّه.

[٧٨] * قوله: (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ).

أما إذا لم يرض فليس بطاغوت كالملائكة والأنبياء والصالحين.

[٧٩] * قوله: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ).

كفرعون فإنه قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

[٨٠] * قوله: (من ادعى شيئًا من علم الغيب).

الغيب من خصائص الربوبية، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

فمن زعم أنّه يعلم الغيب غير اللَّه تعالى فقد نازع اللَّه في الربوبية، وذلك من الشرك الأكبر.

[٨١] * قوله: (ومن حكم بغير ما أنزل اللَّه).

الحكم بغير ما أنزل اللَّه له أحوال:

بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لا إله إلا اللَّهُ) [٨٢].

وَفِي الْحَدِيثِ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**».

الحال الأولى: أنْ يعتقد أنّه يجوز الحكم بغير ما أنزل اللَّه، أو أنّ حكم غير اللَّه أفضل من حكم اللَّه، أو مساوٍ لحكمه سبحانه، أو أنّ الإنسان مخيّر بين الحكم بما أنزل اللَّه والحكم بغيره، فهذا كفر أكبر.

الحال الثانية: أنْ يحكم بغير ما أنزل اللَّه في قضية معينة لهوىً في نفسه أو طمعٍ دنيوي وهو يعلم أنّه عاص للَّه ولرسوله، فهذا كفر أصغر.

الحال الثالثة: أن يستبدل الشريعة بالقانون الوضعي ويجعله حكمًا عامًّا يرجع الناس إليه، فهذا كفر أكبر.

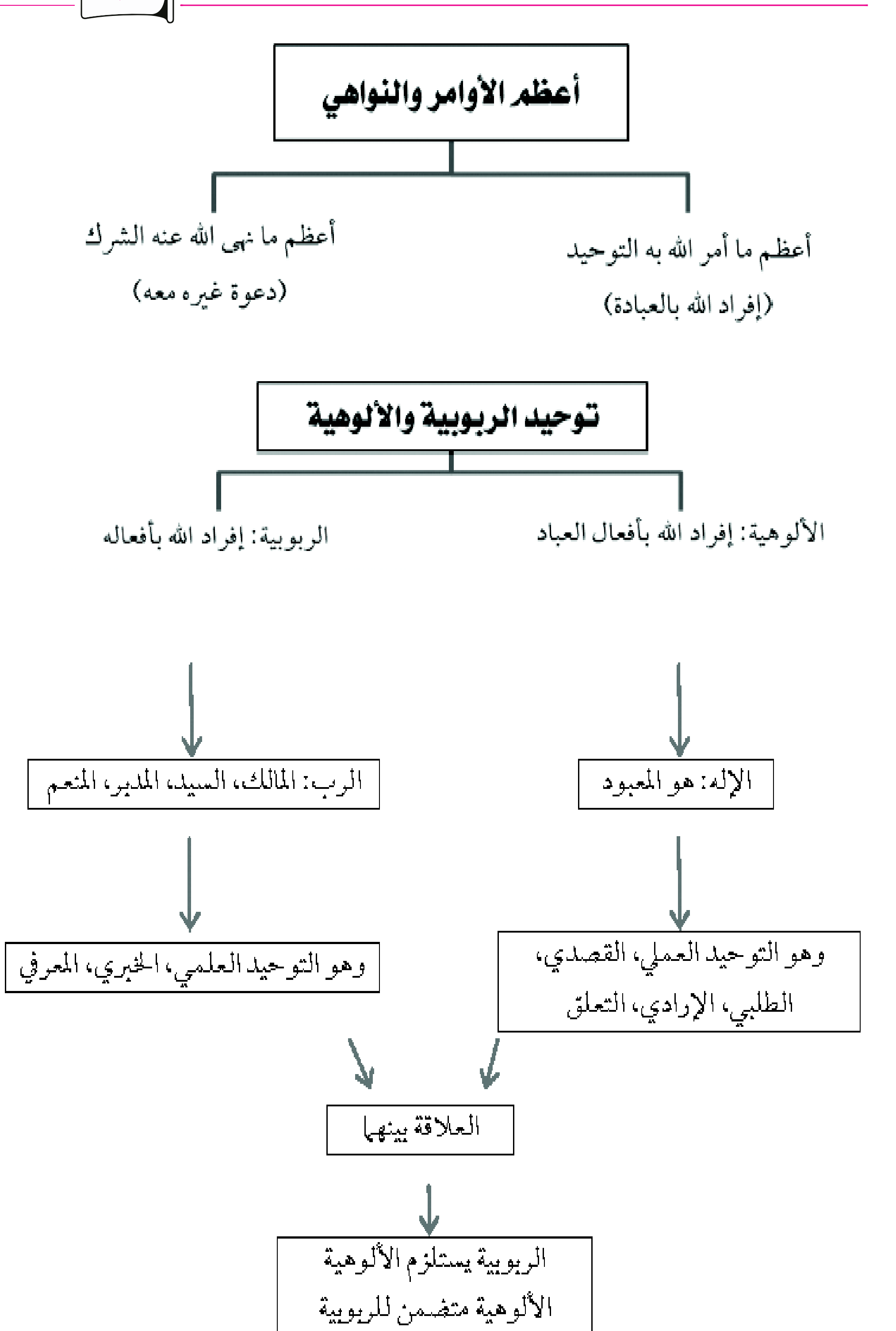
[٨٢] * قوله: (وهذا هو معنى (لا إلا اللَّه»).

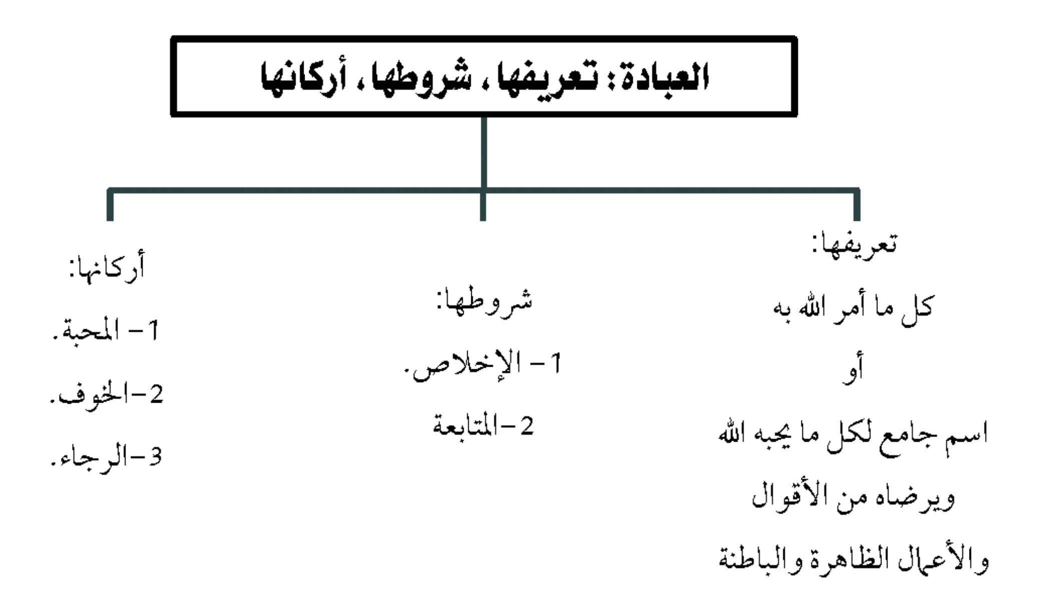
يعني ما جاء في آية البقرة: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. هو معنى لا إله إلا اللَّه.

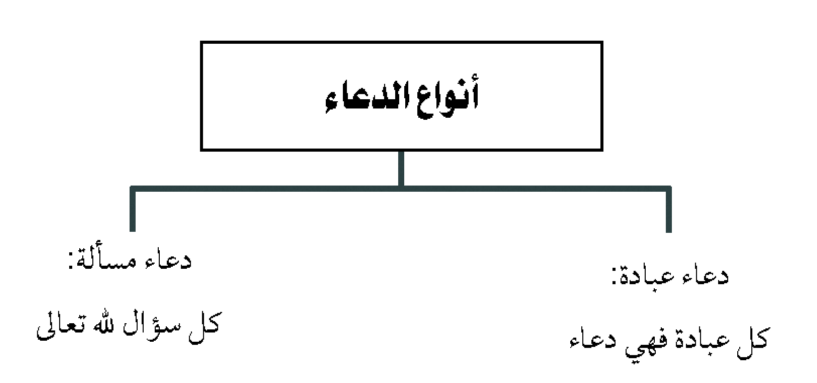
*** قوله: (رأس الأمر الإسلام).**

أي: رأس الأمر الذي بُعث به النبي ﷺ الإسلام، ويفسر ذلك رواية الإمام أحمد وفيها: (**إنّ رأس هذا الأمر أنْ تشهد أنْ لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله**).

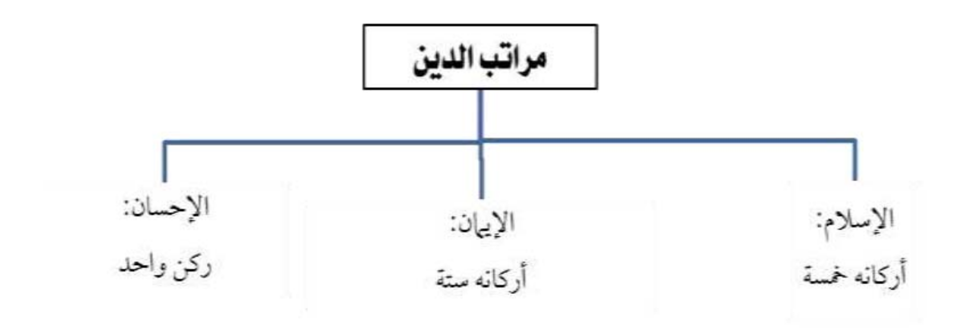
وبهذا انتهينا من شرح ثلاثة الأصول،
وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه.

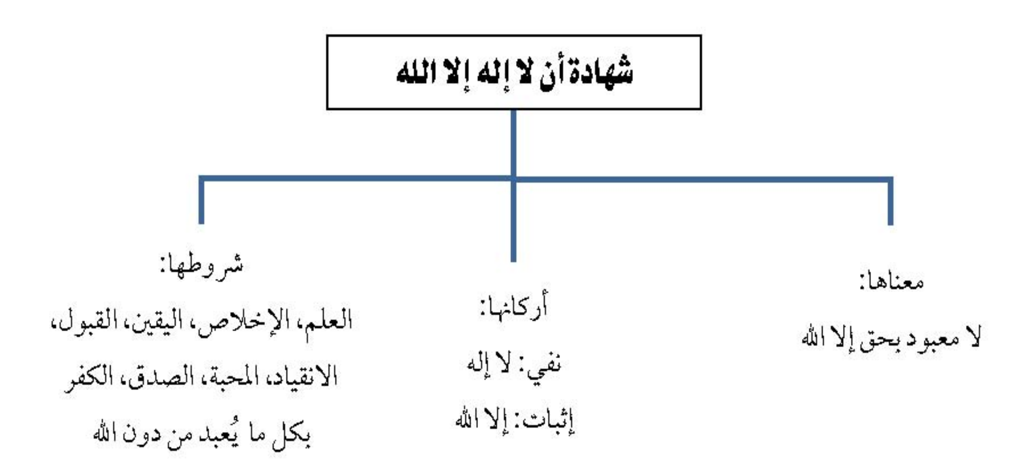

أعظم الأوامر والنواهي
أعظم ما أمر الله به التوحيد
(إفراد الله بالعبادة)
أعظم ما نهى الله عنه الشرك
(دعوة غيره معه)
توحيد الربوبية والألوهية
الألوهية: إفراد الله بأفعال العباد
الربوبية: إفراد الله بأفعاله
الإله: هو المعبود
الرب: المالك، السيد، المدبر، المنعم
وهو التوحيد العملي، القصدي، الطلبي، الإرادي، التعلق
وهو التوحيد العلمي، الخبري، المعرفي
العلاقة بينهما
الربوبية يستلزم الألوهية
الألوهية متضمن للربوبية

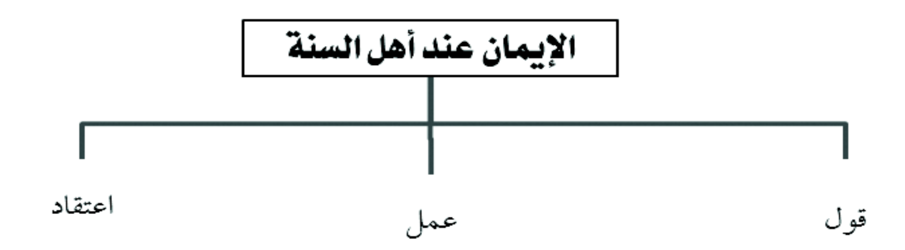

العبادة: تعريفها، شروطها، أركانها
تعريفها:
كل ما أمر الله به
أو
اسم جامع لكل ما يحبه الله
ويرضاه من الأقوال
والأعمال الظاهرة والباطنة
شروطها:
1- الإخلاص.
2-المتابعة
أركانها:
1- المحبة.
2-الخوف.
3-الرجاء.

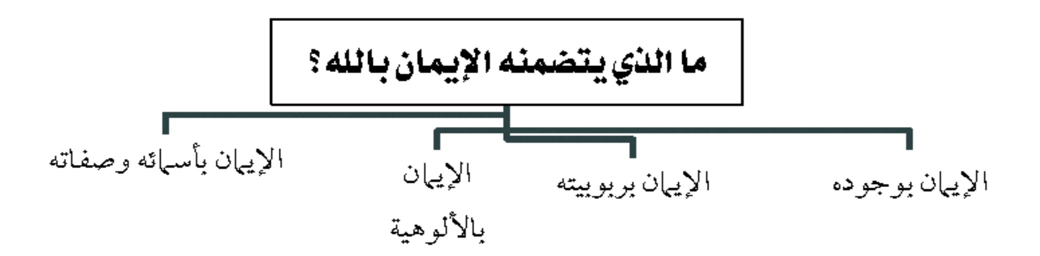

أنواع الدعاء
دعاء عبادة:
كل عبادة فهي دعاء
دعاء مسألة:
كل سؤال لله تعالى

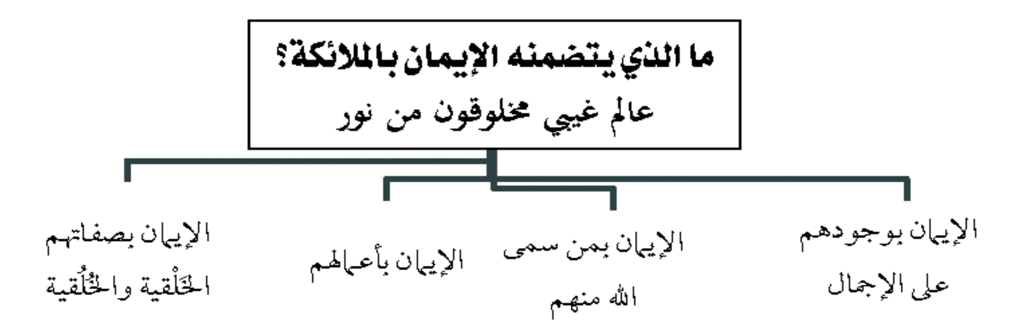

ثلاثة الأصول
معرفة الله
معرفة نبيه صلى الله عليه وسلم
معرفة دين الإسلام
بالأدلة

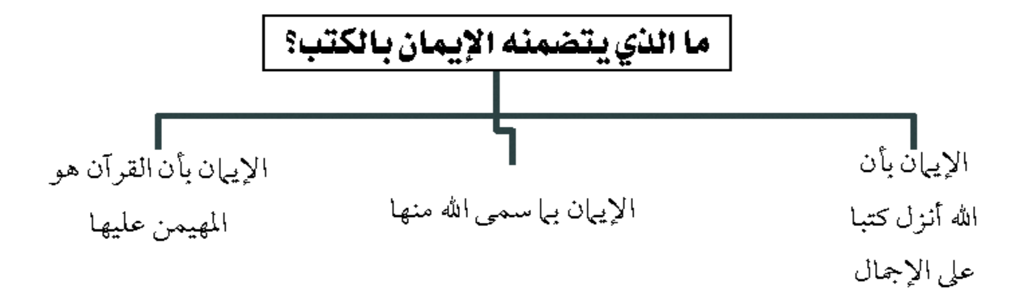

مراتب الدين
الإسلام:
أركانه خمسة
الإيمان:
أركانه ستة
الإحسان:
ركن واحد

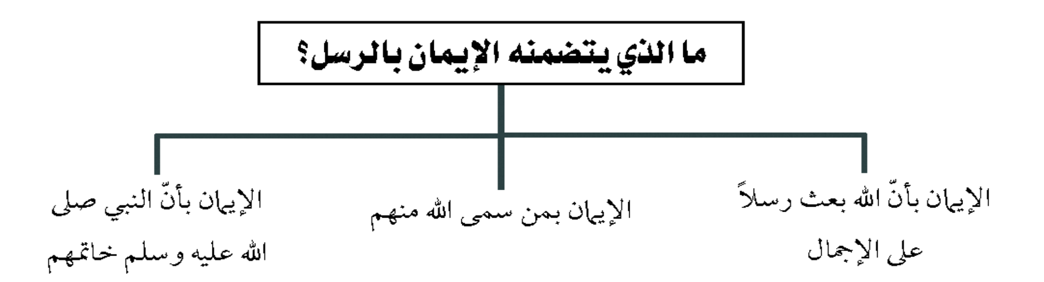

شهادة أن لا إله إلا الله
معناها:
لا معبود بحق إلا الله
أركانها:
نفي: لا إله
إثبات: إلا الله
شروطها:
العلم، الإخلاص، اليقين، القبول،
الانقياد، المحبة، الصدق، الكفر
بكل ما يُعبد من دون الله

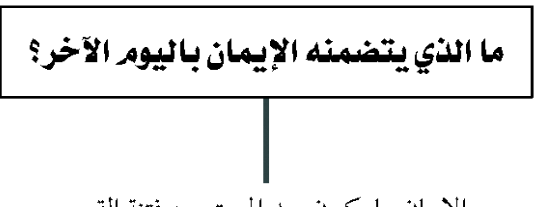

الإيمان عند أهل السنة
قول
عمل
اعتقاد


ما الذي يتضمنه الإيمان بالله؟
الإيمان بوجوده
الإيمان بربوبيته
الإيمان بالألوهية
الإيمان بأسمائه وصفاته


ما الذي يتضمنه الإيمان بالملائكة؟
عالم غيبي مخلوقون من نور
الإيمان بوجودهم على الإجمال
الإيمان بمن سمى الله منهم
الإيمان بأعمالهم
الإيمان بصفاتهم الخَلْقية والخُلُقية


ما الذي يتضمنه الإيمان بالكتب؟
الإيمان بأن الله أنزل كتبا على الإجمال
الإيمان بما سمى الله منها
الإيمان بأن القرآن هو المهيمن عليها


ما الذي يتضمنه الإيمان بالرسل؟
الإيمان بأنّ الله بعث رسلاً على الإجمال
الإيمان بمن سمى الله منهم
الإيمان بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم خاتمهم

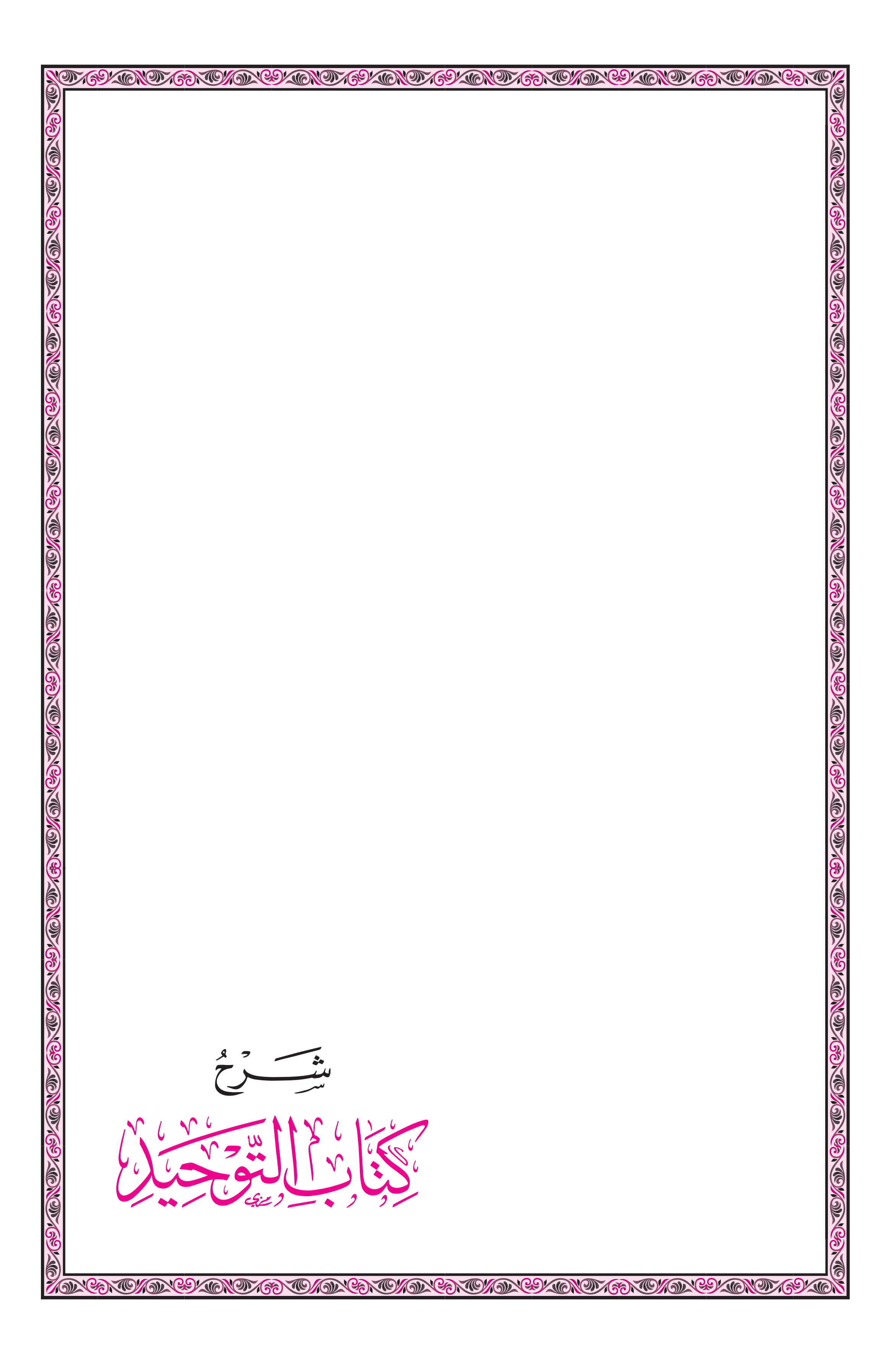

ما الذي يتضمنه الإيمان باليوم الآخر؟
الإيمان بما يكون بعد الموت من فتنة القبر،
وعذاب القبر ونعيمه، والبعث، والحشر،
والحساب، والعرض،...


أركان القضاء والقدر
العلم
الكتابة
المشيئة
الخلق



فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊


شرح
كتاب التوحيد

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البداح ، عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله

شرح كتاب التوحيد. / عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله البداح .- الرياض ، ١٤٤٢هـ

٢٧٤ ص ؛ ٢٤ سم.- (برنامج التأهيل العقدي ؛ ٢)

ردمك: ٦-١٩-٨٢٥٤-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد أ.العنوان ب.السلسلة

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/١٦٠٥

رقم الإيداع: ١٤٤٢/١٦٠٥

ردمك: ٦-١٩-٨٢٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com

برنامج التأهيل العقدي
(٢)

شرح
كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام المجدد

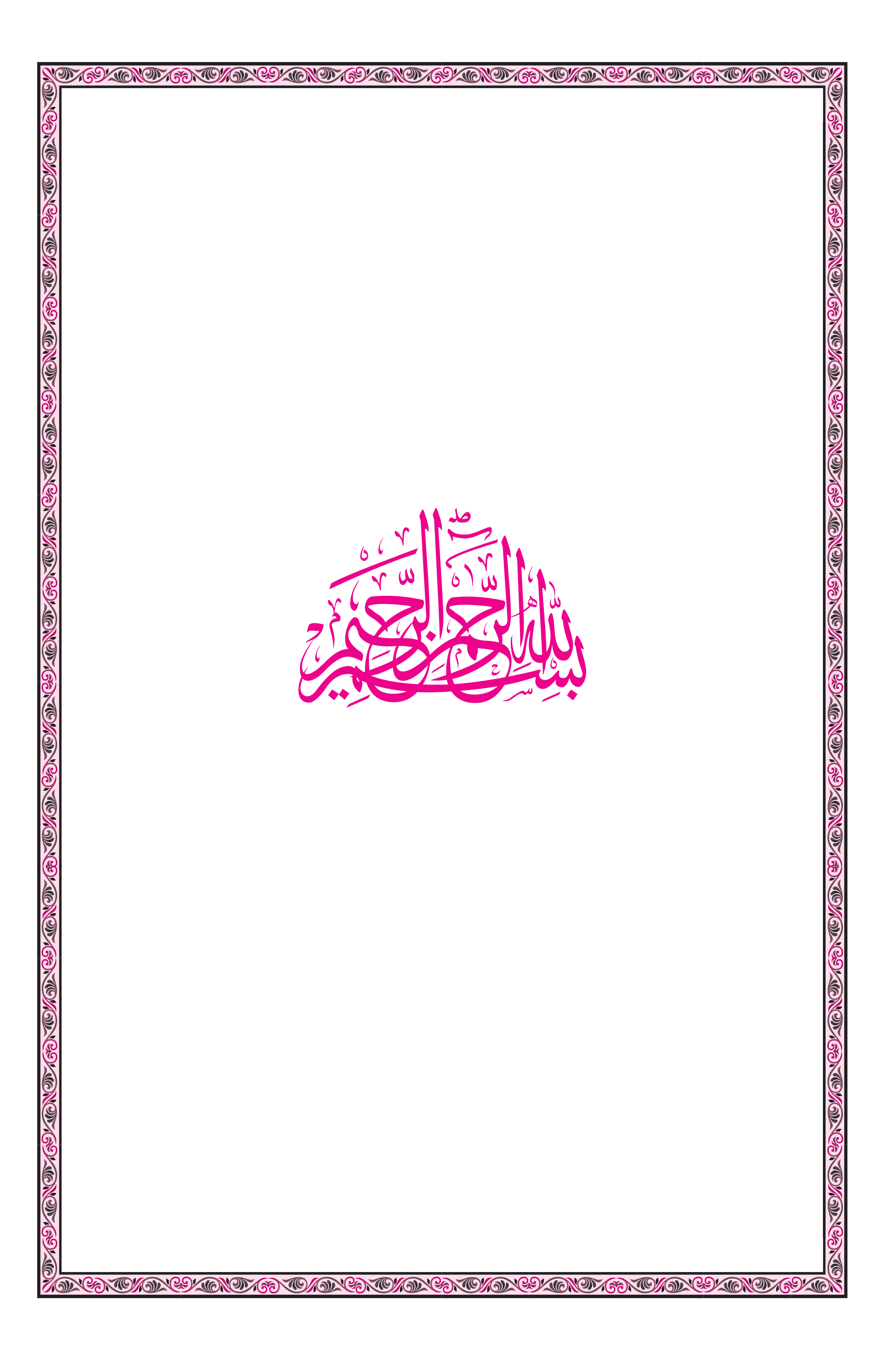
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

(١٢٠٦هـ)

شرح وتعليق

د. عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله البداح

دار التوحيد للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شرح المتن الثاني في برنامج التأهيل العقدي: «**كتاب التوحيد**» لشيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ألقيته ضمن دورة التأهيل العقدي، وقمت بتفريغه، ومراجعته.

ومنهجي في هذا الشرح يقوم على: الاختصار، والبعد عن التطويل، بالاقتصار على ما يلي:

١- شرح الترجمة.

٢- شرح غريب الآية والحديث المتعلق بالترجمة.

٣- بيان مناسبة إيراد الآية أو الحديث في الباب، وعلاقتها بالترجمة إذا لم يكن ذلك ظاهرًا.

٤- ذكر الأحكام العقدية المتعلقة بالباب.

والمقصود من الشرح: تقريب الكتاب، وتبسيطه، وتسهيل فهمه.

واللَّه أسأل التوفيق في القول والعمل، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه: عبد العزيز بن أحمد بن عبد الله البداح

١٤٣٩/١/١هـ

الإيميل: al.bedah@hotmail.com



مقدمة الشرح

الحمد للَّه ربِّ العالمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد. . .

هذا الكتاب اسمه: «**كتاب التوحيد الذي هو حق اللَّه على العبيد**»، ألَّفه الشيخ: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المتوفى سنة (١٢٠٦هـ).

وسبق بيان ما يتعلق بترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأصول دعوته عند الكلام على «ثلاثة الأصول».

هذا الكتاب ألَّفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البصرة، وقيل: في حريملاء، ومنهم من قال: إنه كتبه في البصرة، وأنهاه أو رتَّبه في بلدته حُريملاء.

وموضوع الكتاب: تقرير توحيد الألوهية، وبيان ما يضاده من الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

واشتمل كتاب التوحيد: على سبعة وستين بابًا.

ومصادر الكتاب: القرآن الكريم، وكتب السنة المطهرة: صحيح البخاري ومسلم، والسنن الأربع، ومسند أحمد، وصحيح ابن حبان، ومعجم الطبراني، ومصنف عبد الرزاق، وغيرهم.

ونقل الشيخ محمد عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في موضعين، ونقل عن ابن حزم في موضع واحد، والبغوي في موضع واحد.

وهذا الكتاب اعتنى به العلماء في زمن الشيخ وما بعده، فوضعوا عليه الشروح والحواشي والتعليقات.

من أشهر شروحه وأوسعها: كتاب «تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد» للشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب، لكن لم يتمَّه، وبقيت عليه سبعة أبواب.

وكتاب «تيسير العزيز الحميد» الموجود الآن أُكمل النقص الحاصل فيه من كتاب «فتح المجيد»، وهذا هو الشرح الثاني لكتاب التوحيد، وهو: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

وهناك حاشية نفيسة كُتبت على «كتاب التوحيد»، وهي «حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم».

في زماننا المتأخر: كتب العلماء شروحًا، وحواشيَ، وتعليقاتٍ، على «كتاب التوحيد»، كَتَب الشيخ «عبد العزيز بن باز» شرحًا على الكتاب، وكذا أيضًا الشيخ «محمد بن عثيمين»، والشيخ «صالح آل الشيخ»، وغيرهم من العلماء.

وشروح «كتاب التوحيد» على قسمين:

القسم الأول: شروح موسَّعة مطوَّلة؛ كـ«تيسير العزيز الحميد» لسليمان ابن عبد اللَّه، و«فتح المجيد» لعثمان بن منصور، و«القول المفيد»

لابن عثيمين، ونحوها .

فهذه الشروح تناولت شرح «كتاب التوحيد» على وجه التفصيل؛ بذكر مباحث عقدية، وحديثية، وفقهية، وأصولية، ولغوية .

القسم الثاني : شروح مختصرة؛ كـ«إبطال التنديد» للشيخ حمد بن عتيق، و«القول السديد» للسعدي، و«التمهيد» للشيخ صالح آل الشيخ، ونحوها .

❋ ❋ ❋



كِتَابُ التَّوْحِيدِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآيَة [النحل: ٣٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الآيَة . [الإسراء: ٢٣]

وَقَوْلِهِ : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيَة [النساء: ٣٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيَاتِ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي : «**يَا مُعَاذُ، أَتَدرِي مَا حَقُّ اللَّه عَلَى العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّه؟**» .

فَقُلْتُ : اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ !

قَالَ : «**فَإِنَّ حَقَّ اللَّه عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّه أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» .

فَقُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَينِ» [١].

---

[١] افتتح المؤلف كتابه بـ (الحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)، وهذا موجود في نسخة ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه «فتح المجيد»، وفي النسخ الأخرى -ومنها النسخة التي بين أيدينا- لم يفتتح المؤلف كتابه بالحمدلة، ولا بالصلاة على النبي ﷺ، واكتفى بالبسملة.

هذا الكتاب لم يفتتحه المؤلف بخطبة لأمرين، هما:

* **الأمر الأول**: أنَّ هذا صنيعُ مَنْ سَبَقَه مِنَ الأئمة؛ كالبخاري، فالبخاري لم يفتتح كتابه بخطبة.

* **الأمر الثاني**: أن هذا الكتاب في توحيد الألوهية، وأعظم وأحسن وأفضل ما يُبيّن معنى التوحيد هو: كلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ، فلا يحسن حينئذٍ أن يُقدِّم المؤلِّف بمقدِّمة أو خطبة قبل كلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ.

لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب لبيان وجوب التوحيد.

■ شرح الترجمة:

عبَّر المؤلف بـ(كتاب التوحيد) بدلًا من (باب التوحيد) للإشارة -فيما يظهر- إلى أن جماع هذا الكتاب في التوحيد ولوازمه ونواقضه.

ما المراد بالتوحيد؟

المراد به هنا: توحيد الألوهية؛ لأنَّ موضوع الكتاب في تقرير توحيد الألوهية، وبيان ما يضاده من الشرك الأكبر والأصغر.

وسبق معنا في «ثلاثة الأصول»: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يقولون: إنّ التوحيد ثلاثة

أنواع، وذكرت أدلة هذا التقسيم مما يغني عن إعادته هنا.

■ شرح الباب:

• **قوله ﷻ:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]:

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: يخضعون ويتذللون، والعبادة حق خالص للَّه تعالى؛ فالغاية من خلق الخلق: هو توحيد اللَّه ﷻ، وإفراده بالعبادة.

الشاهد في الآية: قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

قال عليٌّ ؓ: «وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بالعبادة».

وقيل: إنَّ هذا خاصٌّ فيمن سبق في علم اللَّه أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، فيكون المعنى: وما خلقتُ أهلَ السَّعادة من الجنِّ والإنس إلا ليعبدون، وقراءة: (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون). تؤيد هذا التفسير.

والقول الأول في تفسير الآية أظهر، وهو اختيار الطبري.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أن التوحيد هو الغاية من خلق الجنِّ والإنس، فهو أعظم واجب على المكلَّفين من الثَّقَلَيْنِ.

• **قوله ﷻ:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]:

﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة.

﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾: من أحسن التعريفات التي عُرِّف بها الطاغوت، هو تعريف ابن القيم: ما تجاوز به العبد حدَّه من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مُطاع.

وهذا الطاغوت له أفراد، ليس محصورًا في صورةٍ واحدة، فبعض أهل العلم يقول: الطاغوت هو: الكاهن، وبعضهم يقول: الشيطان، وبعضهم يقول:

الصنم، وبعضهم يقول: الساحر، لكن الذي يجمع هذه الصور وغيرها هو تعريف ابن القيم.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ أصل دعوة الأنبياء والرُّسُل، ومقصود رسالتهم: جاءت بوجوب عبادة اللَّه تعالى، واجتناب الطاغوت.

- **قوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٤]:**

﴿وَقَضَىٰ﴾: أَمَر ووصَّى - على تفسير كثير من السلف.

مناسبة إيراد هذه الآية للترجمة: أنَّ اللَّه ﷻ أَمَر ووصَّى بعبادته سبحانه.

- **قوله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾:**

مناسبة إيراد الآية للترجمة: أنَّ اللَّه ﷻ في هذه الآية أَمَرَ بعبادته، ونَهَى عن الإشراك به.

- **قولـــه ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥٣].**

الشاهد من الآية: قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

مناسبة إيراد الآية للترجمة: أنَّ اللَّه ﷻ حرَّم على عباده الإشراك به، وضدُّه: التوحيد، وهو واجب.

- **قول ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]:**

لفظ الترمذي: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَاتِ».

قوله: (عَلَيْهَا خَاتَمُهُ): كناية عن أنَّ هذه الآيات مُحْكَمَات غير منسوخات.

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوحِيدُ؛ لأَنَّ الْخُصُومَةَ فِيهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣، ٥].

الرَّابِعَةُ: الْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ.

السَّابِعَةُ: الْمَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ اللَّه لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ الآية. [البقرة: ٢٥٦].

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ الآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ فِي «سُورَةِ الأَنْعَامِ» عِنْدَ السَّلَفِ.

• **عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: (كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ..).**

الشاهد منه قوله ﷺ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...»:

مناسبة إيراد الحديث للترجمة: أنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن أنَّ حقَّ اللَّه عز وجل على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وهذا دليل على أنَّ التوحيد واجب.

* * *

وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ، أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ.

العَاشِرَةُ: الآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ فِي «سُورَةِ الإِسْرَاءِ»، وَفِيهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً بَدَأَهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

نَبَّهَنَا اللَّه سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الْحُقُوقِ العَشَرةِ بَدَأَهَا اللَّه تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيَة [النساء: ٣٦].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّه تَعَالَى عَلَيْنَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ لِلمَصْلَحَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحبَابُ بِشَارَةِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الْخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ الْمَسْؤُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

العِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

الْحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الْحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

❋ ❋ ❋

باب
فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآيَة. [الأنعام: ٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ: أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّه**».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «**قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ.**

قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه».

قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُون هَذَا.

قَالَ: يَا مُوسَى! لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيْرِي -، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ**

تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» [٢].

---

[٢] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المصنف هذا الباب لبيان فضل التوحيد.

■ **شرح الترجمة:**

(بَابُ): اسم لجملة من العلم.

(فَضْلِ التَّوْحِيدِ): عائدته في الدنيا والآخرة.

(وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ): أي: والذي يكفِّر من الذنوب، وهذا من باب عطف الخاص على العام.

■ **شرح الباب:**

● **قوله** ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

الشاهد: قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾: لَمْ يَخْلِطُوا.

﴿بِظُلْمٍ﴾: يعني: بشِرْك.

رُوِيَ تفسيرُ الظُّلْم في الآية بالشِّرْك عن النبي ﷺ، أخرجه البخاري ومسلم.

وروي ذلك أيضًا عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأُبَيِّ بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والنخعي.

وقيل: إنَّ الظُّلْمَ في الآية: هو فِعْلُ ما نَهَى اللَّه عنه، أو تَرْكُ ما أَمَرَ اللَّه بفعله.

والمراد به في الآية: إبراهيم عليه السلام.

وقيل: المهاجرون من أصحاب النبي ﷺ.

والأقرب: أنَّه عامٌّ في كلِّ مَنْ حَقَّق التوحيد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾: الأمن: ضد الخوف، والاهتداء: ضد الضلال.

واللَّه ﷻ وعد المؤمنين في غير ما آية بهذا الوعد العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، فالأمن: هو ألا يخافوا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾: أي: يهتدون إلى الإيمان والعمل الصالح في الدنيا، ويهتدون إلى الجنة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ الموحِّدين مَوْعُودون بالأمن والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، وهذا من فضل التوحيد.

• عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، . . .»:

الشاهد منه: قوله: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. . .**» إلى قوله ﷺ: «**أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**».

واختُلف في توجيه هذا الحديث، وما في معناه من أنَّ مَنْ مات على التوحيد دخل الجنة على ما كان من العمل، فقيل: إنّ هذا قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، وقيل: المراد: مَنْ قال الكلمة وأدَّى حقَّها، وقيل: إنّ المراد: مَنْ قَالَها عند الندم والتوبة، ومات على ذلك.

فمَنْ جاء بالتوحيد أو بالشهادة؛ فإنه حقٌّ على اللَّه ﷻ أن يدخله الجنة على

ما كان من العمل، إما أن يُدخله الجنة ابتداءً فيغفر -جل وعلا- ذنوبه، وإما أن يُعذَّب بقَدْر ذنوبه، ثم يكون مآله إلى الجنة.

وعلى هذا فدخول الجنة في الحديث على نوعين:

الأول: دخولٌ لا يسبقه عذابٌ، وهو دخول المؤمن، أو الموحِّد الذي غفر اللَّه له ابتداءً.

الثاني: دخولٌ يسبقه عذابٌ، وهو دخول الموحِّد الذي يعذَّب بقَدْر ذنوبه، أو يخرج من النار بشفاعة الشافعين، أو برحمة اللَّه تعالى.

هذا الحديث ونظائره من أحاديث الوعد، ويقابلها أحاديث الوعيد، ومن قواعد أهل السنة والجماعة: الجمع بين نصوص الوعد والوعيد.

• وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».

التحريم إما أن يراد به: تحريم الخلود في النار، وهو مطلق التحريم، وإما أن يراد به: تحريم دخول النار أصلًا، وهو التحريم المطلق.

فما المراد بالتحريم في الحديث؟

يقال: إن ذلك على حسب القائل للشهادة من جهة كمال إيمانه أو نقصانه.

«يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»: فيه دليل على اشتراط الإخلاص والصدق.

• وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ.».

الشاهد منه: **«لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيْرِي-، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه».**

مراد المؤلف من إيراد الحديث: بيان فضل كلمة التوحيد، وأنَّ مَنْ جاء بها

*** فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي فِي «سُورَةِ الأَنْعَامِ».

الْخَامِسَةُ: تَأَمُّلُ الْخَمْسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ الْمَغْرُورِينَ.

السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!

التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا

يوم القيامة فإنها تُثَقِّل ميزانه، ويشهد لهذا حديث البطاقة المشهور.

• **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».**

«قُرَابِ الأَرْضِ»: ملء الأرض.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ مَنْ جاء بالتوحيد يوم القيامة، فإنه موعود بالمغفرة.

* * *

يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

الْعَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَاوَاتِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلأَشْعَرِيَّةِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «**فَإِنَّ اللَّه حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**» أَنَّهُ تَرْكُ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَوْلُهَا بِاللِّسَانِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمَّلْ الْجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَبْدَاهُ وَرَسُولَاهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى عليه السلام بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللَّهِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإِيْمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «**عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**».

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

الْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الوَجْهِ.

* * *

بَابُ
مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟

فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ.

قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟

قَالَ: ارْتَقَيْتُ.

قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟

قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ.

قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُم؟

قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**».

قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ**

وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي».

فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ.

فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ.

فَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّه ﷺ.

وَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّه شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.

قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**».

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.

فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**» [٣].

---

[٣] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المصنف هذا الباب: لبيان أنَّ تحقيق التوحيد سببٌ لدخول الجنة بغير حساب.

■ **شرح الترجمة:**

(حَقَّقَ التَّوْحِيدَ): أي: بتنقيته وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

هذه الترجمة (العنوان) تشتمل على أمرين: (المقدمة، والنتيجة):

أما المقدمة: تحقيق التوحيد.

النتيجة: دخل الجنة بغير حساب.

■ **شرح الباب:**

أورد المؤلف آية النَّحْل وآية المؤمنون، وأورد حديث حصين بن عبد الرحمن.

أما الآية الأولى والثانية: فهي في المقدمة؛ أي: في تحقيق التوحيد.

وأما الحديث: فهو في المقدمة والنتيجة: من حقق التوحيد دَخَل الْجَنَّة بِغَيْر حِسَابٍ.

• **قال تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]:

﴿أُمَّةً﴾: إمامًا يقتدى به. وقيل: الذي يعلم الناس دينهم.

﴿قَانِتًا﴾: دائم الطاعة. وقيل: المطيع للَّه. وقيل: الخاشع.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا من الشرك إلى التوحيد.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: إما أنَّه لم يصنع صنيعهم، أو لم يخالطهم.

وصف اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأربع صفات:

الأولى: أنَّه إمام في الخير.

الثانية : أنَّه دائم الطاعة .

الثالثة : أنَّه مائل من الشرك إلى التوحيد .

الرابعة : أنَّه كان مجانبًا للشرك وأهله .

وهذا هو تحقيق التوحيد .

• **وقال :** ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون ٥٩] :

من هم ؟

هم الذين وعدهم اللَّه ﷻ بقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون : ٦١] ، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ : يعني : لا يشركون معه في ربوبيته ، ولا ألوهيته ، ولا أسمائه وصفاته ، فلا يقعون في الشرك الأكبر ، ولا في الشرك الأصغر ، وهذا تحقيق التوحيد .

• **عَنْ حُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : (كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بِنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذي انْقَضَّ الْبارِحَةَ ..) .**

الشاهد منه : قوله ﷺ : «**هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُم سَبْعونَ ألفًا يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ . . هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهُم يَتَوَكَّلُونَ**» ، وهم الموعودون بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب .

قوله ﷺ : «**لَا يَسْتَرْقونَ**» : يعني : لا يطلبون الرقية لتمام توكُّلِهم على اللّه ﷻ .

وحكم العلماء على رواية مسلم : «**لَا يَرْقُونَ**» بالشذوذ ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ رَقى .

«**وَلَا يَكْتَوونَ**» : ليس المراد : أنهم لا يُباشرون الأسباب المشروعة ، وإنما المراد : أنهم لا يتعلقون بها .

وقوله : «**وَلَا يَتَطَيَّرونَ**» : أي : لا يتشاءمون .

وهذه الثلاثة بيانها فيما بعدها بقوله : «**وَعَلَى رَبِّهُم يَتَوَكَّلُونَ**» ، وهو جامع

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ.

الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ.

الْخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ.

السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ.

التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ.

العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى عليه السلام.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ عليه السلام.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلأَنْبِيَاءِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

لهذه الألفاظ الثلاثة: «لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ» لتمام توكلهم على الله عز وجل، والتوكل على الله تعالى من أفراد التوحيد.

* * *

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ، وَعَدَمِ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ وَالْحُمَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ لِقَوْلِهِ: «**قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا**». فَعُلِمَ أَنَّ الْحَدِيْثَ الأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِيَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيْهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ ﷺ: «**أَنْتَ مِنْهُم**» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ رضي الله عنه.

الْحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ.

* * *



بَابُ
الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] الآيَةَ.

وَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «**الرِّيَاءُ**».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُو يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» [٤].

---

[٤] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب في التحذير من الوقوع في الشرك.

■ شرح الترجمة:

(الخوف): موجب للبعد عنه والحذر منه.

(الشرك): يعم في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، والمراد به: الترك في الألوهية؛ لأن موضوع الكتاب في ذلك.

■ **شرح الباب:**

● **قوله ﷻ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

ما المراد بالشرك الذي لا يغفره اللَّه تعالى؟

إيضاح هذه المسألة يكون بالآتي:

الشرك الأكبر: يُخرج من الملة، ولا يغفره اللَّه، ويوجب الخلود في النار بإجماع المسلمين، أما الشرك الأصغر: فلا يُخرج من الملة، ولا يوجب الخلود في النار بإجماع المسلمين.

بقيت مسألة: هل الشرك الأصغر تحت مشيئة اللَّه تعالى كالكبائر، أم لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة؟ على قولين، هما:

القول الأول: أنّ الشرك الأصغر لا يغفره اللَّه كالشرك الأكبر، من مات عليه من غير توبة فلا بد أنْ يعاقب، ثم مآله إلى الجنة. هذا اختيار أئمة الدعوة.

القول الثاني: أنّ الشرك الأصغر تحت مشيئة اللَّه تعالى كالكبائر.

والقول الأول تؤيده ظواهر النصوص في عمومها وإطلاقها.

مقصود المؤلف من إيراد هذه الآية: أنَّ اللَّه لا يغفر الشرك مما يوجب الخوف منه.

● **قال -سبحانه- عن إبراهيم عليه السلام:** ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]:

وصف اللَّه ﷻ إبراهيم بأنّه أُمة، وأنّه قانت، وأنّه حنيف، وأنّه لم يكن من المشركين، ومع ذلك؛ فإن إبراهيم عليه السلام دعا ربَّه أن يجنِّبه وبنيه أن يعبدوا الأصنام.

قال إبراهيم التيمي أحد التابعين: «ومَنْ يأمن البلاء بعد إبراهيم؟».

قال ابن كثير عند هذه الآية : «ينبغي لكلٍّ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته» .

مقصود المؤلف من إيراد هذه الآية : التخويف من الشرك ، فإذا كان إبراهيم عليه السلام وهو إمام الحنفاء يخاف الشرك على نفسه وبنيه ، فمَن دونه من باب أولى .

- **قال ﷺ : «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» ، فسُئِل عنه ، فقال : «الرِّيَاءُ» .**

أورد المؤلف هذا الحديث لبيان خوف النبي ﷺ الشرك على أمته .

الرياء على قسمين :

١- رياء المنافقين : هذا شرك أكبر يوجب دخول النار والخلود فيها .

٢- يسير الرياء : وهو ما يعرض للمؤمن أو المسلم في عبادته ، وهو شرك أصغر .

- **عن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه : أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» :**

مناسبة إيراد المؤلف لهذا الحديث : أنَّ النبيَّ ﷺ رتَّب على الموت على الشرك دخول النار والخلود فيها مما يوجب الخوف منه .

- **عن جابر رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ به شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» :**

الشاهد : «مَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» .

«شيئًا» : نكرة في سياق الشرط ، وأداة الشرط (مَنْ) ، فتفيد العموم ، فكل من أشرك باللَّه تعالى فإنه يدخل النار .

مناسبة إيراد المؤلف لهذا الحديث : أنَّ لقاء اللَّه تعالى بالشرك موجب لدخول النار مما يوجب الخوف منه .

* * *

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: الْخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّانِيَةُ: أَن الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

الْخَامِسَةُ: قُرْبُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

السَّادِسَةُ: الْجَمْعُ بَيْنَ قُربِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ [على عَمَلٍ مُتَقَارِبٍ فِي الصُّورَةِ].

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ.

الثَّامِنَةُ: الْمَسْأَلَةُ العَظِيمَةُ: سُؤَالُ الْخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ!

التَّاسِعَةُ: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العَاشِرَةُ: فِيهِ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.

* * *

بَابُ
الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآيَة [يوسف: ١٠٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ قَالَ لَهُ: **«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** -وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ»**- **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه افتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه افتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَموَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّه حِجَابٌ»**. أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: **«لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّه عَلَى يَدَيْهِ»**.

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُمْ: أَيُّهُم يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ، كُلُّهُمْ يرجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

فَقَالَ: **«أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»**.

فَقِيلَ: هُو يَشْتَكِي عَينَيهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَينَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ! فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ**».

«**يَدُوكُونَ**»؛ **أَيْ**: يَخُوضُونَ [٥].

---

[٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب في بيان وجوب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه يعني توحيد اللَّه ﷻ.

▪ شرح الترجمة:

(الدُّعَاء): أي الدعوة.

(شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): أي: التوحيد، وسبق معنى هذه الكلمة وأركانها وشروطها في ثلاثة الأصول.

▪ شرح الباب:

• **قال** ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾: دعوتي، وقيل: ديني، وقيل: أمري وسُنَّتي ومنهجي. والمعنى واحد.

والسبيل يُذكَّر ويؤنث.

﴿بَصِيرَةٍ﴾: أي: يقين، وقيل: علم.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

في عود الضمير في قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ قولان:

القول الأول: أنّ قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ يعود على قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ فيكون المعنى: أدعو إلى اللّه، ومن اتبعني يدعو إلى اللّه تعالى.

القول الثاني: يتم الكلام عند قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، ثم استأنف بقوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾، فيكون المعنى: إني على بصيرة، وكل من اتبعني.

ويمكن أن يقال: إن الضمير في ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ يعود عليهما جميعًا، فيكون المعنى: أنا ومن اتبعني ندعو إلى اللّه تعالى على بصيرة.

الشاهد من الآية: قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾، فأتباع النبي ﷺ هم الدعاة إلى اللّه ﷻ.

وطريقة النبي ﷺ وسبيله الذي دعا إليه هو التوحيد، ويشهد لهذا قوله في ختام الآية: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..».**

الشاهد منه: قوله: «**فَلْيَكُنْ أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ**»-».

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ أول ما يُدعى إليه الناس هو التوحيد.

• **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا..».**

الشاهد منه: «**ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى الْإِسْلَامِ**».

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ أوَّل ما يُدعى إليه الإسلام؛ أي: الدعوة إلى التوحيد؛ لأن الركن الأول من أركان الإسلام الذي لا تُقبل بقية الأركان

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّه طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَهُ ﷺ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ، لأَنَّ كَثِيرًا لَوْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الرَّابِعَةُ: مِنْ حُسْنِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ تَنْزِيهٌ لَهُ تَعَالَى عَنِ الْمَسَبَّةِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنُهُ مَسَبَّةً لِلَّهِ.

السَّادِسَةُ: -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا- إِبْعَادُ الْمُسْلِمِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ لِئَلَّا يَصِيرَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يَبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الصَّلَاةِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى «**يُوَحِّدُوا اللَّهَ**» [هُوَ] مَعْنَى شهَادَةِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَهُوَ لَا يَعْمَلُ بِهَا.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: البَداءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ.

إلا بتحقيقه شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأنّ محمدًا رسول اللَّه.

* * *

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبَهَ عَنِ الْمُتَعَلِّمِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ وَسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْجُوعِ وَالوَبَاءِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**» إِلَى آخِرِهِ. عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا.

الْحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَشُغْلُهُمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ، لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ، وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «**عَلَى رِسْلِكَ**».

الْخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ: الدَعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ.

السَّادِسَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

السَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالْحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ: «**أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ**».

الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُونَ: الْمَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللَّهِ فِي الإِسْلَامِ.

التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

الثَّلَاثُونَ: الْحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.

* * *

بَابُ
تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٧] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآيَةَ.

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دَونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ [٦].

---

[٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: في بيان تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه.

■ **شرح الترجمة:**

(التَّفْسِير): يعني: أصل في سَرْ شيء عن شيء؛ أي: رفع شيء عن شيء؛

فتحصل الإبانة والبروز، وانكشف الشيء: برز وبان.

(التوحيد): سبق تعريف التوحيد والشهادة في ثلاثة الأصول.

■ شرح الباب:

● **قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾** [الإِسْراء: ٥٧]:

يكشف معنى الآيةِ الآيةُ قبلها ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

مَنْ هم المَدْعُوُّون؟

نفرٌ من الجنِّ، وقيل: الملائكة، وقيل: عُزَيْرٌ وعيسى وأمُّه.

﴿يَدۡعُونَ﴾: أي: تعبدونهم، ويوضِّحها القراءة الأخرى: (أولئك الذين تعبدون).

﴿يَبۡتَغُونَ﴾: يسألون ويرغبون.

﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: القربة والزلفى.

مراد المؤلف من إيراد هذه الآية: أنَّ الصالحين من عباد اللَّه من الأنبياء والملائكة يعبدون ربهم، ويبتغون إليه القربة والطاعة، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، وهذا هو التوحيد، وتفسير شهادة أن لا إله إلا اللَّه.

● **قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾:**

سبق معنا بيان: أنَّ (لا إله إلا اللَّه) لها ركنان: (نفي، وإثبات).

النفي في هذه الآية: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾، هذا نفيٌ للعبودية عما سوى اللَّه ﷻ.

الإثبات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾؛ يعني: إثبات أن المستحق العبادة هو اللَّه ﷻ.

مقصود المؤلف من إيراد هذه الآية: أنَّ معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه: إثبات العبادة للَّه تعالى ونفيها عمن سواه.

• **قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾** [البقرة: ١٦٥]:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾: يعني: اليهود والنصارى.

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: جمع حبر -بفتح الحاء وكسرها-؛ يعني: علماءهم.

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: جمع راهب؛ يعني: المنقطع للعبادة.

﴿أَرْبَابًا﴾: بطاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

جاء بيان ذلك في حديث عدي بن حاتم قال: قلت: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».

وجاء هذا التفسير عن ابن عباس، وحذيفة، والحسن رضي الله عنهم.

مراد المؤلف من إيراد هذه الآية: أنَّ التوحيد لا يتحقَّق إلا بإفراد اللَّه ﷻ في الطاعة والحُكْم والتشريع.

• **قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾**

[البقرة ١٦٥]:

مقصود المؤلف من إيراد هذه الآية: أَنَّ الإشراك مع اللَّه ﷻ في المحبة مُنافٍ للتوحيد، وأنَّ التوحيدَ يقتضي إفرادَ اللَّه ﷻ بالمحبَّة وسائر العبادات.

• **قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ»:**

قوله ﷺ: «وَكَفرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»: إيضاحٌ لرُكْنِ النَّفْي في (لا إله إلا اللَّه)، فإنَّ (لا إله إلا اللَّه) -كما بيَّنتُ قبل قليل- لها ركنان: (نفي، وإثبات):

* **فِيهِ أَكْبَرُ الْمَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا :** وَهُوَ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ، وَبيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ.

* **مِنْهَا :** آيَةُ الإِسْرَاءِ، بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

* **وَمِنْهَا :** آيَةُ بَرَاءَةٍ، بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾، وَبيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.

* **وَمِنْهَا :** قَوْلُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْكُفَّارِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]. فَاسْتَثْنَى مِنَ المَعْبُودِينَ رَبَّهُ؛ وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ البَرَاءَةَ وَهَذِهِ الْمُوَالَاةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

النفي: (لا إله): وهو نفي العبادة، أو نفي استحقاق العبادة عمَّا سوى اللَّه تعالى.

الإثبات: (إلا اللَّه): إثبات استحقاق العبادة للَّه وحده.

مراد المؤلف من إيراد هذا الحديث: أنَّ التوحيد لا يتحقَّق إلا بنفي العبادة عما سوى اللَّه تعالى.

قول المؤلف: (وَشَرْح هَذِهِ التَّرْجَمَة): يعني: العنوان الذي هو تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه، فإنّ تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه بإيراد هذه الآيات والأحاديث، وما سيأتي بعدها من الأبواب من بيان ما يناقض التوحيد من الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

* * *

* **وَمِنْهَا** : آيَةُ البَقَرَةِ : فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّه فِيهِمْ : ﴿**وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ**﴾ [البقرة: ١٦٧] . ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّه حُبًّا عَظِيمًا ، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ حُبًّا أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟!

فَكَيْفَ بِمَنْ لَم يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُحِبَّ اللَّهَ؟!

* **وَمِنْهَا** : قَوْلُهُ ﷺ : «**مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّه حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**. . .» . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا للدَّمِ وَالْمَالِ ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا ، بِلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ ، بِلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، بِلْ لَا يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ : الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ .

فَيَالَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ ؛ مَا أَجَلَّهَا ! وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ ! وَحُجَّةٌ مَا أَقْطَعَهَا للمُنَازِعِ !

* * *

بَابُ
مِنَ الشِّرْك لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨] الآيَةَ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ.

فَقَالَ: «**انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّه لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعةً، فَلَا وَدَعَ اللَّه لَهُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

وَلابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] [٧].

---

[٧] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان لبس التمائم يناقض التوحيد أو كماله الواجب حسب اعتقاد فاعله.

بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بتعريف الشرك وبيان صوره؛ لأنَّ ركن شهادة أن لا إلا اللَّه الأول: النفي؛ أي: نفي الشرك.

وبدأ المؤلف بالشرك الأصغر تدرجًا من الأدنى للأعلى، ولأنَّ في ذكر الشرك الأصغر تنبيهًا على الشرك الأكبر.

■ شرح الترجمة:

(مِن): تبعيضية؛ أي: من أنواع الشرك.

(الشِّرْكِ): هل هو شرك أكبر أو أصغر؟ بحسب اعتقاد الفاعل كما سيأتي بيانه.

(لِبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ): ليس المقصود حَصْرَ التمائم في لبس الحلقة والخيط، وإنما هذه أشهر صور التمائم.

(لِرَفْعِ الْبَلاءِ): يعني: بعد وقوعه.

(أَوْ دَفْعِهِ): قبل وقوعه.

وعلى هذا؛ فالتمائم: جمع تميمة، وهي: ما يُعلق لرفع البلاء أو دفعه.

■ شرح الباب:

● قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨]:

مقصود المؤلف من إيراد هذه الآية: إبطال تعلق المشركين بالتمائم، فإن أصحاب التمائم يعتقدون أنها تدفع البلاء أو ترفعه، وهذه الآية في إبطال عقيدة المشركين في اعتقادهم أن آلهتهم تنفع أو تضر من دون اللَّه.

● عَنْ عِمْرانَ بنِ حُصينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حِلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟»..

الشاهد منه: قوله ﷺ: «**انْزِعْها فَأَنَّهُا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهَنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»

«**وَهَنًا**»: ضعفًا.

«**مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»: هل المراد: نفي الفلاح المطلق، أو مطلق الفلاح؟ يكون ذلك بحسب اعتقاد المعلق، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها؛ فهذا نفي مطلق الفلاح، وإن اعتقد أنها سبب؛ فهذا نفي الفلاح المطلق.

● **وله عن عقبة بن عامر: «مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ».**

«**فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ**»: إما دعاء من النبي ﷺ، وإما إخبار.

معنى قوله ﷺ: «**فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ**»: لا أتم اللَّه له أمره، أو مقصوده.

«**وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً**»: والوَدْعَة نوعٌ من الصَّدَف يُعلِّقونه لغرض دفع البلاء أو رفعه.

فقوله: «**فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ**»: إما إخبار وإما دعاء؛ أي: لا يكون في دَعَةٍ وراحة.

وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»: «**فَقَدْ أَشْرَكَ**»: يعني: فقد وقع في الشرك، هل يراد الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر؟ بحسب حال المعلِّق، كما سنبينه.

● **ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾** [يوسف: ١٠٦]:

(**مِنَ الْحُمَّى**): (مِنْ) سببية؛ أي: وضعه بسبب الحمَّى.

﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ**﴾: يعني: في ربوبيته.

﴿**إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾: يعني: في ألوهيته.

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهُوَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ، فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ: أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّه لَم يُعْذَرْ بِالْجَهَالَةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ بَلْ تَضُرُّ، لِقَوْلِهِ: «**لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا**».

الْخَامِسَةُ: الإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إِلَيْهِ.

السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْخَيْطِ مِنَ الْحُمَّى مِنْ ذَلِكَ.

التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الأَكْبَرِ عَلَى الأَصْغَرِ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي آيَةِ البَقَرَةِ.

أنواع التمائم:

* **النوع الأول:** ما كان من القرآن، وسيأتي بيان حكمه في الباب بعده.

* **النوع الثاني:** ما كان من غير القرآن، وهذا له حالتان:

الحال الأول: أن يعتقد أنَّ التميمة سببٌ لرَفْع البلاء أو دَفْعه، فهذا شركٌ أصغر.

الحال الثاني: أن يعتقد أنَّ التميمة تدفع البلاء أو ترفعه بذاتها، فهذا شركٌ أكبر.

* * *

العَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الوَدَعِ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللَّه لَا يُتِمُّ لَهُ، «**وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّه لَهُ**»؛ أَيْ: تَرَكَ اللَّه لَهُ.

❋ ❋ ❋

بَابُ
مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «**أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٍ إِلَّا قُطِعَتْ**».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ: شِرْكٌ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاودَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

«**التَّمَائِمُ**»: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلَادِ مِنَ العَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ القُرْآنِ، فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبعضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَ«**الرُّقَى**»: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى العَزَائِمَ، وَخصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنَ العَيْنِ وَالْحُمَةِ.

وَ«**التِّوَلَةُ**»: شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امرَأَتِهِ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**يَا رُوَيْفِعُ!**

لَعَلَّ الحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ عَنْ إِبرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ [٨].

---

[٨] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان أحكام الرُّقى والتمائم.

■ **شرح الترجمة:**

(الرُّقَى): ما يُقرأ على المريض.

(التَّمَائِم): سبق معناها.

لم يجزم المؤلف هنا بحُكْم، وإنما قال: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقي وَالتَّمَائِمِ)؛ لأنَّ من الرُّقَى: ما هو شرعي وما هو شركي؛ ولأن التمائم من القرآن محلّ خلافٍ بين السَّلف.

■ **شرح الباب:**

• **فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ ﵁ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ...**

الشاهد: قوله: «أَنْ لَا يَبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةً؛ إِلَّا قُطِعَتْ».

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ تقليد الأبعرة إذا كان بغرض دفع البلاء

أو رفعه ؛ فإنه من التمائم ، وأمر النبي ﷺ بقَطْعِها .

• وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» .

«**الرُّقَى**» : (ال) هي العهدية ؛ يعني : الرُّقَى الشِّرْكِيَّة ؛ لأنه جاء في الحديث : «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا» .

• وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا : «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» .

«**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا**» : يعني : من التمائم والتعاويذ .

«**وُكِلَ إِلَيْهِ**» : أي : خُلي إلى ذلك الشيء ، وتُرك بينه وبينه . وفي رواية أحمد : «أُكِلَ إِلَيْهِ أَوْ عَلَيْهِ» .

• وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ : «يا رُوَيْفِعُ ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ . .» .

الشاهد : قوله : «**مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا . . فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**» .

«**عَقَدَ لِحْيَتَهُ**» : أي : لدَفْع العين ، على أحدِ وجوه التفسير .

«**تَقَلَّدَ وَتَرًا**» : يعني : التميمة .

• وعن سعيد بن جبير قال : «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ» .

يعني : في الفضل .

• وله عن إِبْرَاهِيمَ قال : (كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا ، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ) .

(**إِبْرَاهِيمُ**) : هو النَّخَعي ، من تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه .

ومراد إبراهيم النخعي بقوله : «**كَانُوا يَكْرَهُونَ**» يعني : كراهة التحريم ؛ لأنه

المعروف في كلام السلف.

الرُّقَى على ثلاثة أنواع:

الرقى الشرعية: هي ما كانت بكلام اللَّه ﷻ، وكلام نبيِّه ﷺ، والأدعية المباحة.

لا تجوز الرُّقى إلا بثلاثة شروط:

١- أن تكون بكلام اللَّه، أو كلام رسوله، أو بالأدعية المباحة.

٢- أن تكون باللسان العربي.

٣- ألَّا يعتقد أن الرقية تؤثر بنفسها؛ بل يعتقد أنها سبب.

حكى ابنُ حَجَر والسيوطيُّ جوازَ الرُّقى بهذه الشروط الثلاثة.

الرُّقَى الشِّرْكية: هي ما كانت متضمنة لدعاء غير اللَّه تعالى من الجن والشياطين والملائكة وسائر المخلوقات.

الرُّقى البِدْعِيَّة: هي ما كانت بكلام غير مفهوم.

التَّمائم هي: ما يُعلَّق على البدن، أو الولد، أو الدابة، أو البيت، ونحوها؛ لدفع البلاء أو رفعه.

و(يُعلَّق) هنا على سبيل التغليب، وإلا لو وضعت فتأخذ نفس الحكم.

التمائم على نوعين، هما:

النوع الأول: إنْ كانت بغير كلام اللَّه تعالى وكلام رسوله ﷺ؛ فهي شِرْكٌ.

النوع الثاني: إنْ كانت التمائم بكلام اللَّه تعالى وكلام رسوله ﷺ، اختلف السَّلف فيها على أقوال:

القول الأول: الجواز. هو قول عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهو ظاهر ما روي عن عائشة رضي الله عنها، وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم

التي فيها شِرْك .

روى البيهقيُّ -بإسناد صحيح- عن سعيد بن المسيب أنه كان يأمر بتعليق القرآن، وقال: «لا بأس به». وهذا القول اختاره جَمْعٌ من متأخري الفقهاء من أتباع المذاهب.

القول الثاني: كراهة التنزيه.

القول الثالث: التحريم والمَنْع، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي، والرواية الأخرى في مذهب أحمد، وهو اختيار أئمة الدعوة -رحمهم اللَّه-. واختار ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ تعليق التمائم من القرآن شِرْكٌ أصغر.

والمُحَقِّقون من أهل العلم على التحريم والمنع لثلاثة أسباب:

١- عموم النَّهْي.

٢- سدًّا للذريعة.

٣- خشية امتهانها.

صور الرقية الشرعية:

١- الرقية على المصاب من غير نَفْثٍ أو تَفْلٍ.

٢- الرقية على المصاب بنَفْثٍ أو تَفْلٍ.

٣- أن يقرأ في ماء، ويشربه المصاب، أو يغتسل به. جاء عند أبي داود بسند جيِّد: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: (أَخَذَ تُرَابًا فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ).

٤- أن يقرأ، ويضع يده، أو يمسح بها على جسد المصاب، أو موضع الألم منه.

٥- كتابة الآيات بالزعفران وغسله بالماء وشربه. جاء عن بعض السلف؛ كابن عباس والإمام أحمد.

* * *

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقيَةَ بِالكَلَامِ الحَقِّ مِنَ العَيْنِ وَالْحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ القُرْآنِ فَقَدْ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَم لَا؟

السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا.

الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.

التَّاسِعَةُ: كَلَامُ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاخْتِلَافِ؛ لأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ.

* * *



بَابُ
مَنْ تبرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَو حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] الآيَاتِ.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ.

فَقَال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**اللَّه أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصحَّحَهُ [٩].

---

[٩] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلِف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: في بيانِ حكم التبرُّك بالشجر والحجر ونحوهما.

■ **شرح الترجمة:**

(تَبرَّكَ): التبرُّك: هو طَلَبُ البَرَكَة، والبركة: هي كَثْرَةُ الخَيْر ودَوَامه ولزومه. والذي يُبارك الأشياء هو اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

(وَنَحْوِهِمَا): كالقبور.

جواب «مَنْ» الشرطية: فقد أشرك.

لم يحزم المؤلف بحُكْم؛ لأنَّ التبرُّك منه ما هو شركٌ أكبر، ومنه ما هو أصغر.

التبرُّك على نوعين:

التبرُّك المشروع: طلب البركة ممَّن ثبتت بركته على نحو مشروع.

التبرُّك الممنوع: طلب البركة ممَّن لم تثبت بركته، أو ممَّن ثبتت بركته لكن على نحو غير مشروع.

التبرُّك الممنوع له حالتان أو صورتان:

* **الصورة الأولى:** أن يعتقد أن المُتَبَرَّك به واسطةٌ بينه وبين اللَّه، أو يعتقد أنه يخلق البركة، فهذا شركٌ أكبر.

* **الصورة الثانية:** أن يعتقد أن المُتَبَرَّك به سببٌ لحصول البركة، فهذا شركٌ أصغر.

وفي التبرُّك ملحظان:

الملحظ الأول: ثبوت البركة في الشيء. فالغار والوادي والكهف والشجر والحجر لم تثبت بركتها، فلا يجوز اعتقاد أن فيها بركة.

الملحظ الثاني: كيفية تحصيل البركة. العَالِم والمسجد مثلًا ثبتت بركتهما، لكن تحصيل بركة العالم بالتلقي من علمه، وبركة المسجد بالصلاة والاعتكاف فيه، ولا تُتحصَّل بركتهما بالتمسح بها.

■ **شرح الباب:**

• **قوله ﷻ:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: استفهام؛ أي: أخبروني.

﴿ٱللَّٰتَ﴾: الجمهور على القراءة بتخفيف التاء، وقرأ آخرون بتشديد التاء.

المراد باللات: حجارة يعبدونها اشتُّق اسْمُها من «الله».

وقيل: المراد باللات: رجلٌ يلتُّ سويق الحاج. قاله ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه البخاري في تفسير الآية.

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: شجرةٌ يعبدها المشركون، وقيل: بيت.

مراد المؤلف من إيراد هذه الآيات: أنَّ المشركين اعتقدوا بركة هذه الأصنام والأحجار والأشجار فعَبَدُوها من دون اللَّه تعالى.

- **عن أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلى حُنَين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها..).**

«**إِنَّهَا السُّنَنُ**»: بضم السين، وفتحها لغة.

«**لَتَتَّبِعُنَّ**»: وفي لفظ: «لَتَرْكَبُنَّ». أكده بالقَسَم واللّام ونون التوكيد.

«**مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»: المراد بهم: أهل الكتاب، كما جاء في البخاري ومسلم.

الشاهد منه: «وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ».

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ المشركين كانوا يعتكفون عند الأشجار طلبًا لبركتها، فيكون التبرك بالأشجار شركًا أكبر.

مما ينبغي التنبيه عليه: أنَّ بعض شُرَّاح الحديث كالنووي وابن حجر والشوكاني وغيرهم ذهبوا إلى جواز التبرُّك بذوات الصالحين قياسًا على جوازه بالنبي ﷺ، وهذا غلط، لأنّه لا يُقاس غير النبيِّ ﷺ به -عليه الصلاة والسلام-.

* * *

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَونُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَونُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «**اللَّه أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

الثَّامِنَةُ: الأَمْرُ الكَبِيرُ -وَهُوَ الْمَقْصُودُ-: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلِبَتَهُمْ كَطَلِبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَرتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «**وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**» فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ، لِقَوْلِهِ: «**إِنَّهَا السُّنَنُ**».

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللَّهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي القُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا.

العِشْرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ، أَمَّا «**مَنْ رَبُّكَ؟**» فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «**مَنْ نَبِيُّكَ؟**» فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وَأَمَّا «**مَا دِينُكَ؟**» فَمِنْ قَوْلِهِم: ﴿**ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا**﴾ إِلَى آخِرِهِ.

الْحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ الْمُشْرِكِينَ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ الْمُنتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ لِقَوْلِهِمْ: «**وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**».

❁ ❁ ❁



بَابُ
مَا جاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] الآيَة.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ بِأَرْبعِ كَلِمَاتٍ: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّه مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللَّه مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طارِقِ بنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ**».

قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟!

قَالَ: «**مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ.**

قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ.

قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا. فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ.

وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ.

فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ**، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ**

الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ [١٠].

---

[١٠] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب لبيان: أنَّ الذَّبْحَ عبادةٌ يجب صرفها للَّه تعالى، وأنَّ صَرْفَها لغير اللَّه شرك.

لم يحزم المؤلف بحكم للعلم به؛ لأنّ الذبح من أوضح صور العبادة، فهي مقرونة بالصلاة.

■ شرح الترجمة:

(بَابُ مَا جَاءَ): أي: من الوعيد.

(فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ): من الأصنام أو الجنِّ أو القبور.

■ شرح الباب:

● قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَنُسُكِي﴾: نسكي: يعني: ذبحي، فالنُّسُك يراد به: الذبح، قاله سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر، وجمعٌ من السَّلف والخَلَف.

ويُراد بالنُّسُك أيضًا: العبادة.

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: اللام للاستحقاق، أو للاختصاص؛ يعني: المستحِق له اللَّه رب العالمين، أو هو المختص بها.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾: هذا توكيد لاستحقاق اللَّه تعالى هذه العبادات.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ الذَّبْحَ عبادةٌ مستحقَّة للَّه تعالى لا يجوز صرفها لغيره، وصرفها لغيره شرك أكبر.

• **قوله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾:**

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ النَّحْرَ -يعني: الذَّبْح- عبادة للَّه ﷻ؛ لأن اللَّه ﷻ أَمَرَ به، وقَرَنَه بالصلاة؛ فيكون صَرْفُه لغير اللَّه شركًا أكبر.

• **عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: (حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ..).**

الشاهد منه: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ**»

«**لَعَنَ**»: إمَّا إخبار، وإما دعاء، واللعن في اللغة: الطَّرْد والإبعاد، وهو الطرد والإبعاد من رحمة اللَّه.

وقيل: من توفيقه وهدايته.

وقيل: من كلِّ خير.

واللَّعْنُ إمَّا أن يكون على ارتكاب شركٍ، كما في الذبح لغير اللَّه تعالى، وإما أن يكون على كبيرة من كبائر الذنوب، كما في غيره مما جاء في الحديث.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ الذَّبْحَ لغير اللَّه مُوجِبٌ للطَّرْد من رحمة اللَّه تعالى.

• **وَعَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ»...**

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ الذبح لغير اللَّه تعالى موجِب لدخول النار.

الذبح لغير اللَّه له صور:

* **الصورة الأولى:** أن يذكر اسم غير اللَّه تعالى عند الذبح كمن يقول مثلًا: باسم المسيح، أو باسم الحسين.

* **الصورة الثانية:** أن يقصد بالذبح تعظيم غير اللَّه ولو ذكر اسم اللَّه، كيف

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

الثَّالِثَةُ: البَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله.

الرَّابِعَةُ: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَ الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ.

الْخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللَّهِ فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ مِنَ الأَرْضِ وَحَقِّ جَارِكَ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

السَّابِعَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ الْمُعيَّنِ، وَلَعْنِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ عَلَى سَبِيلِ العُمُومِ.

تكون هذه الصورة؟ عندما يأتي ويذبح عند قبر أو يذبح عند صنم قاصدًا تعظيم هذا القبر أو تعظيم هذا الوثن، فإنه شركٌ، ولو ذكر اسم اللَّه تعالى عليه.

* الصورة الثالثة: الذبح أمام طلعة معظَّم تعظيمًا له، كما يفعله بعض أهل البادية، وحكَم جمعٌ من المحقِّقين: أنَّ هذه الصورة من الشرك الأكبر.

الصورة الرابعة: الذبح لرفع البلاء؛ كالمرض ونحوه، فهذا محرم، سدًّا لذريعة مشابهة أهل الاعتقادات الباطلة في الذبح لأوليائهم من الجن وغيرهم، وللشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في هذا عنوانها: «حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض».

* * *

الثَّامِنَةُ: هَذِهِ القِصَّةُ العَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ.

العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشَّكِّ فِي قُلُوبِ الْمُؤمِنِينَ، كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى القَتْلِ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طَلِبَتِهِمْ، مَعَ كَونِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا العَمَلَ الظَّاهِرَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا لَمْ يَقُلْ: «**دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ**».

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**».

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ القَلْبِ هُوَ الْمَقْصُودُ الأَعْظَمُ حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ.

❊ ❊ ❊

بَابُ
لَا يُذْبَحُ للَّه بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّه

وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] الآيَةَ.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**».

قَالُوا: لَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعَصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا [١١].

---

[١١] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب لبيان النهي عن الذبح للَّه في مكان يُذبح فيه لغير اللَّه لئلا يُتوَهم تعظيم هذه البقعة، ولأن في ذلك مشابهة للمشركين.

■ شرح الترجمة:

(لَا): نافية.

(يُذْبَحُ للَّه): أي: أنّ الذبح للَّه تعالى ليس فيه شرك.

(بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ): عند قبر معظَّم، أو عند شجرة معظَّمة ونحوها.

■ **شرح الباب:**

● **قوله ﷻ:** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

المراد بالآية: النهي عن الصلاة في مسجد الضِّرار، وهو مسجد بناه المنافقون.

مناسبة إيراد هذه الآية: أنَّ اللَّه ﷻ نهى عن الصلاة في مسجد الضرار، حتى وإن كانت الصلاة للَّه؛ لأنَّ في ذلك تكثيرًا لسَوَاد المنافقين وتشبُّهًا بهم.

● **عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ: (نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ..).**

«بُوَانَة»: بضم الباء وفتحها، اسم مكان.

«الوَثَن»: كل ما عُبد من دون اللَّه تعالى.

«الجَاهِلِيَّة»: نسبة إلى الجهل، ضد العلم، وهو ليس مقيدًا بما قبل الإسلام، لقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**».

(العِيد): اسمٌ لما يعود ويتكرَّر، وهو على نوعين:

١- عيد زماني: ما يعود بعَوْد السَّنَة أو الشَّهر أو الأسبوع على وجه التعظيم.

منه عيد شرعي؛ كالجمعة، والفطر، والأضحى.

ومنه عيد بدعي؛ كأعياد الميلاد، وموالد الأولياء.

٢- عيد مكاني: ما يتكرَّر العَوْد إليه على وجه التعظيم.

منه عيد شرعي؛ كالحرمين، ومنى، وعرفات.

ومنه عيد بدعي؛ كقبور الأولياء والصالحين بزيارة بدعية أو شركية.

الشاهد منه: «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**». قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**».

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ .

الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْمَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الأَرْضِ ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ .

الثَّالِثَةُ : رَدُّ الْمَسْأَلَةِ الْمُشْكَلَةِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ البَيِّنَةِ لِيَزُولَ الإِشْكَالُ .

الرَّابِعَةُ : اسْتِفْصَالُ الْمُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ .

الْخَامِسَةُ : أَنَّ تَخْصِيصَ البُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَوَانِعِ .

السَّادِسَةُ : الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ .

السَّابِعَةُ : الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ البُقْعَةِ ؛ لأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ .

التَّاسِعَةُ : الْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ .

العَاشِرَةُ : لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : لَا نَذْرَ لابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ .

* * *

مراد المؤلف من إيراد الحديث : أنَّ البقعة إذا كانت مُعظَّمة عند المشركين بأيِّ صورة من صور التعظيم ؛ فلا يجوز أن يُذبح فيها للَّه تعالى .

* * *



بَابٌ
مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّه فليْطِعْهُ، ومَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِي اللَّه فَلَا يَعْصِه**» [١٢].

---

[١٢] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان أنَّ من أنواع الشرك الأكبر النذر لغير اللَّه.

■ **شرح الترجمة:**

(مِن): تبعيضية.

(الشِّرْك): يعني: الشرك الأكبر.

(النَّذْر): إلزام المكلف نفسه عبادة لم تجب بأصل الشرع.

لماذا لم يُصرّح المؤلف أنه من الشرك الأكبر؟

لعلّ المؤلف لم يصرّح للأسباب الآتية:

الأول: جريًا على ما جاء في النصوص: أنَّ المراد بالشِّرْك عند الإطلاق:

الشِّرْك الأكبر.

الثاني: لتعويد الطالب على الاستنباط.

الثالث: للعلم به.

■ شرح الباب:

● **قوله تعالى**: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾:

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ من صفة المؤمنين: أنَّهم يوفون بالنذر، فدل هذا على أنَّ النذر عبادة، فصرفه لغير اللَّه شرك أكبر.

● **قوله تعالى**: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾

﴿يَعۡلَمُهُۥ﴾: أي: يحصيه؛ فيجازيكم عليه.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ النَّذْرَ عبادةٌ يُثاب عليها العبد، فصرفه لغير اللَّه شركٌ أكبر.

● **قوله ﷺ**: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ»:

مراد المؤلف رحمه الله من إيراد الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَ بالوفاء بالنَّذْر، فدل على أنه عبادةٌ، فصَرْفُه لغير اللَّه شركٌ أكبر.

صور النَّذْر الشِّرْكِي:

* **الصورة الأولى**: أَنْ يعقد النذر لغير اللَّه: كأن يقول: للحسين عليَّ نذرٌ، أو للبدوي عليَّ نذرٌ، أو للدسوقي عليَّ نذرٌ، وهكذا.

* **الصورة الثانية**: أَنْ يعقد النذر للَّه ويقصد به غيره: مثل أن يقول: للَّه عليَّ نذرٌ إن شَفَى مريضي أَنْ أذبح للأولياء، هنا النذر عقده للَّه، لكن كان قصده تعظيم

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: وُجُوبُ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ.

الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً للَّه فَصَرَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذْرَ الْمَعَصِيَةِ لَا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِهِ.

* * *

غير اللَّه تعالى.

* **الصورة الثالثة:** أَنْ يقدِّم النذور للأولياء والصالحين برمي النقود، أو نثرها على قبورهم، أو بوضعها في الصناديق التي عند قبورهم.

وهذه الصور كلها شرك أكبر.

* * *



بَابُ
مِنَ الشِّرْكِ: الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ [١٣].

---

[١٣] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان أن من الشرك الأكبر الاستعاذة بغير اللَّه تعالى.

■ **شرح الترجمة:**

(مِنَ الشِّرْكِ): يعني: الشرك الأكبر.

(الاسْتِعَاذَة): طلب العوذ، وهو الالتجاء والاعتصام.

لماذا لم يُصرِّح المؤلف أنه من الشرك الأكبر؟

سبق الجواب عن ذلك في «باب: من الشرك النذر لغير اللَّه».

■ **شرح الباب:**

● **قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾:**

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: يعني: أنَّ الإنس زادوا الجنَّ طُغيانًا، وقيل: معناها: أنَّ

الجنَّ زادت الإنسَ خوفًا، وقيل: زادت الجنُّ الإنسَ كفرًا. وقيل: زادتهم إثمًا. والأقوال متقاربة.

الشاهد: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

جاء في تفسير هذه الآية في السُّنَّة: أَنَّ أَحَدَهم كان إذا نزل واديًا قال: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من سفهاء قومه.

مناسبة إيراد المؤلف هذه الآية: أنَّ اللَّه ﷻ ذكر أن الاستعاذةَ بغيره من صفات المشركين.

• **عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا..».**

«كَلِمَاتِ اللَّه»: كلمات اللَّه على نوعين:

كلمات كَوْنِيَّة: هي التي يَخْلُق بها ﷻ، ويُدَبِّر.

كلمات شَرْعِيَّة: هي أَمْرُه ونَهْيُه الذي جاء في كُتبه المُنزلة على رسله.

والمراد بكلمات اللَّه في الحديث: كلماته الكونية.

«التَّامَّات»: يعني التي لا نقص فيها.

الشاهد: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّه»

مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراد الحديث: أنَّ الاستعاذة تكون باللَّه، أو بصفة من صفاته، والاستعاذة بغيره شرك أكبر.

أنواع الاستعاذة بغير اللَّه تعالى:

النوع الأول: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى، كالاستغاثة بالأموات والغائبين، هذا شرك أكبر.

النوع الثاني: الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه مع الاعتماد على اللَّه

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الآيَة .

الثَّانِيَةُ : كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ .

الثَّالِثَةُ : الاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ ؛ لأَنَّ العُلَمَاءِ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللَّه غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ ؛ قَالُوا : لأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ .

الرَّابِعَةُ : فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ .

الْخَامِسَةُ : أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ تَحْصُلُ بِهِ مَصْلحَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ .

* * *

تعالى ، هذا جائز ، وإذا كان بلفظ أعوذ ، فيشترط أن يقول : أعوذ باللَّه ، ثم بك .

* * *

بَابٌ
مِنَ الشَّرْكِ : أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦- ١٠٧] الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ : ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] الآيَتَيْنِ.

وَقَوْلُهُ : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّه**» [١٤].

---

[١٤] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان أنَّ من أنواع الشرك الاستغاثة بغير اللَّه أو دعاء غيره.

■ **شرح الترجمة:**

(مِنَ الشِّرْكِ): يعني: الشرك الأكبر.

لماذا لم يُصرّح المؤلف أنه من الشرك الأكبر؟

سبق الجواب عن ذلك في «باب: من الشرك النذر لغير اللَّه»

(أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ): الاستغاثة: هي طلب الغَوْث، وهي نوع من الدعاء.

والفرق بين الاستغاثة والدعاء: أنَّ الاستغاثة تكون من المكروب، والدعاء يكون من المكروب وغيره، وعلى هذا؛ فالدعاء أعمُّ من الاستغاثة.

وعطف الدعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على الخاص.

■ **شرح الباب:**

• **قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾**

﴿وَلَا تَدْعُ﴾: نَهَى اللَّه ﷻ نبيَّه ﷺ عن دعاء ما لا ينفع ولا يضر.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تحتمل الآية معنيين:

* **المعنى الأول**: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: مع اللَّه، على سبيل التشريك.

* **المعنى الثاني**: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: يدعو مَنْ سوى اللَّه استقلالًا.

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فرضًا، وإلا فهو معصوم ﷺ.

﴿ٱلظَّالِمِينَ﴾: المشركين.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ اللَّه ﷻ نَهَى عن دعاء غيره، ووصف ذلك فاعل ذلك بالشِّرْك.

• قـولـه ﷻ : ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت : ١٧] :

﴿أَوۡثَٰنٗا﴾ : أصنامًا .

﴿وَتَخۡلُقُونَ﴾ : تنحتون ما تعبدونه . وقيل : تصنعون الكذب .

﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾ : أي : اطلبوا .

مراد المؤلف من إيراد الآية : أنَّ اللَّه تعالى أمر بدعائه ، فهو عبادة ، صَرْفُها لغير شركٌ أكبر .

• قـولـه ﷻ : ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف : ٥] .

(مَنْ) : استفهامية ، والاستفهام للإنكار والتعجب .

﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ ؛ أي : لا أضل ، ولهذا نظائر ؛ كقوله : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا﴾ [فصلت : ٣٣] ؛ أي : لا أحسن ، وكقوله : ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [القصص : ٥٠] ؛ أي : لا أضل .

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ : مع اللَّه تشريكًا ، أو من دونه استقلالًا .

﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ﴾ : المراد بهم : الأصنام ، وعبَّر عنها باسم الموصول المختص بالعقلاء ؛ لأنه أُسند إليها ما يُسند للعقلاء من الغفلة .

وقيل : لأنه شاع في كلام العرب إجراؤها مجرى العقلاء .

وقيل : لأن عابديها مثَّلتها بالملوك التي تُخدم .

مراد المؤلف من إيراد الآية : أنَّ اللَّه حَكَم بأنَّه لا أضلُّ ممَّن دعا غيره .

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الْخَاصِّ.

• **قوله ﷻ:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٦٢]:

﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾: ذو الضرورة المجهود، قاله ابن عباس.

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: الضر.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: يهلك قومًا وينشئ آخرين. وقيل: يجعل أولادكم خلفًا لكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: أي: يقدر على ذلك.

أورد المؤلف هذه الآية لدلالتها على: أنَّ الذي يجيب الدعاء هو اللَّه تعالى، فيكون دعاؤه حقًّا، ودعاء غيره باطل.

• **وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ (أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ..).**

الشاهد: قوله ﷺ: «إِنَّهُ لَا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله».

الاستغاثة بغير اللَّه تعالى:

١- الاستغاثة بالحي القادر الحاضر فيما يقدر عليه، هذا جائز، منه قوله ﷻ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]؛ يعني: موسى عليه السلام.

٢- الاستغاثة بالميت أو الغائب، هذا شركٌ أكبر.

* * *

الثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ .

الْخَامِسَةُ : تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا .

السَّادِسَةُ : كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا .

السَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللَّهِ ، كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ .

التَّاسِعَةُ : تَفْسِيرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ .

العَاشِرَةُ : ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ الْمَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلمَدْعُوِّ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كُفْرُ الْمَدْعُوِّ بِتِلْكَ العِبَادَةِ .

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : تَفْسِيرُ الآيَةِ الْخَامِسَةِ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : الأَمْرُ العَجِيبُ : وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ بِأَنَّهُ لَا يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِلَّا اللَّهُ ، وَلأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : حِمَايَةُ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللَّهِ .

❋ ❋ ❋



بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾

[الأعراف: ١٩١- ١٩٢]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] الآيَةَ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ فَقَالَ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟!**» فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الفَجْرِ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**» بَعْدَمَا يَقُولُ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» فَأَنْزَلَ الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدْعُو عَلَى صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ ابْنِ هِشَامٍ»، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!** -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**.

يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّه شَيْئًا .

يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّه شَيْئًا .

وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّه شَيْئًا » [١٥] .

---

[١٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب : لبيان بطلان الشرك وعبادة غير اللَّه تعالى ، وخاصة عبادة النبي ﷺ .

■ شرح الترجمة:

﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ : الاستفهام للتعجيب والإنكار .

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ : الضمير «هم» يعود على الأصنام خلقها اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ، والمراد : الحجارة التي هي مادة صناعة الأصنام . وقيل : الضمير «هم» عائد على عابدي الأصنام .

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف : ١٩٢] : المعنى : أنَّ الأصنام لا يَنْصُرون مَنْ يعبدونهم إذا احتاجوا لنَصْرهم ، ولا يَنْصُرون أنفسَهم إن أراد أحد الاعتداء عليها .

مراد المؤلف من إيراد الآية : عجز الآلهة المعبودة من دون اللَّه تعالى عن نصرة عابديها ، فبطلت بذلك عبادة غير اللَّه تعالى .

■ شرح الباب:

● قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر : ١٣] :

﴿مِن دُونِهِۦ﴾: يعني: الأصنام.

﴿مِن قِطۡمِيرٍ﴾: قشر النواة، وهو قول جملة من الصحابة والتابعين وأكثر المفسرين. وقيل: شقُّ النواة، وقيل: القمع الذي على رأس النواة، وقيل: الخيط الذي في شقِّ النواة.

مراد المؤلف من إيراد الآية: بطلان عبادة غير اللَّه تعالى؛ لأنها لا تملك.

• **فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ..).**

«شُجَّ»: الشَّجَّة: الجرح في الرأس أو الوجه.

«رَبَاعِيَتُه»: ما بعد الثنايا.

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والأمر؛ يعني: شأن المشركين.

مراد المؤلف من إيراد الآية: بطلان عبادة غير اللَّه تعالى، فإنْ كان النبيُّ ﷺ لا يملك نَفْيَ الفلاح عن غيره، فكيف يُعبَد من دون اللَّه؟

• **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيْرَةِ مِنَ الفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» من الكفار..).**

هؤلاء الثلاثة الذين لَعَنَهم النبيُّ ﷺ -صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام- أسلموا، وحَسُنَ إسلامهم.

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (قَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حِيْنَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]..).**

الشاهد: قوله: «لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا».

«لَا»: نافية.

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: قِصَةُ أُحُدٍ.

الثَّالِثَةُ: قُنُوتُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْمَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الكُفَّارِ.

مِنْهَا: شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ.

وَمِنْهَا: التَّمْثِيلُ بِالقَتْلَى مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ!

السَّادِسَةُ: أَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فَتَابَ عَلَيْهِمْ فَآمَنُوا.

الثَّامِنَةُ: القُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ.

التَّاسِعَةُ: تَسْمِيَةُ الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.

العَاشِرَةُ: لَعْنَةُ الْمُعَيَّنِ فِي القُنُوتِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

«شَيْئًا»: نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم.

مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من إيراد الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ نفى أن يملك لأحد من دون اللَّه شيئًا، فكيف يُعبد من دون اللَّه؟!

* * *

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: جدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الأَمْرِ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الْجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الآنَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ للأَبْعَدِ وَالأَقْرَبِ: «**لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّه شَيْئًا**». حَتَّى قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّه شَيْئًا**». فَإِذَا صَرَّحَ ﷺ أَنَّهُ -وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ- لَا يُغْنِي مِنَ اللَّه شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، وَآمَنَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ ﷺ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ الآنَ، تَبَيَّنَ لَهُ التَّوْحِيدُ وَغُرْبَةُ الدِّينِ.

❊ ❊ ❊

بَابُ
قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّه الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُم ذَلِكَ**، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ** -وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- **فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يَلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَومَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**».

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّه تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ: تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةٌ** -أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ- **شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنَ اللَّه** عَزَّ وَجَلَّ، **فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّه سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا:**

مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ.

قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّه ﷻ» [١٦].

---

[١٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان بطلان الشرك، وعبادة غير اللَّه تعالى، خاصة عبادة الملائكة.

■ شرح الترجمة:

﴿فُزِّعَ﴾: يعني: زال الفَزَع عن قلوبهم.

﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾: الضمير عائد إلى الملائكة، وقيل: للكفار. والصحيح الأول؛ لورود الأحاديث والآثار فيه.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: يعني: هو أجلُّ وأكبر من أن يُجعل المخلوق شريكًا له في الربوبية أو الألوهية.

■ شرح الباب:

• فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّه الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ..».

• وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّه تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ: تكلَّمَ بِالوَحْيِ..».

هذان الحديثان في تفسير الآية.

مراد المؤلف من إيراد الآية، وتفسيرها مما ورد في الحديثين: أنَّ المخلوقات كالملائكة والسموات خاضعة لأمر اللَّه تخاف منه سبحانه، فكيف

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا فِيهَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي قِيلَ: إِنَّهَا تَقْطَعُ عرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِن القَلْبِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «**قَالَ كَذَا وَكَذَا**».

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُولُ لأَهْلِ السَّمَاوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ كُلَّهُمْ.

التَّاسِعَةُ: ارْتِجَافُ السَّمَاوَاتِ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

العَاشِرَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: سَبَبُ إِرْسَالِ الشُّهُبِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي

تُعبد من دون اللَّه؟

* * *

أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ .

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُ الكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الأَحْيَانِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَبُولُ النُّفُوسِ للبَاطِلِ ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةٍ؟!

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: كَونُهُمْ يُلْقِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ تِلْكَ الكَلِمَةَ ، وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا .

العِشْرُونَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْمُعَطِّلَةِ .

الْحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالغَشْيَ خَوْفًا مِنَ اللَّه عَزَّوَجَلَّ .

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ للَّه سُجَّدًا .

* * *



بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيتَيْنِ [سبأ: ٢٢-٢٣].

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: «نَفَى اللَّه عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتعلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَو قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ، هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا القُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ، وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**».

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟

قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ: مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا؛ أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ». انْتَهَى كَلَامُهُ [١٧].

---

[١٧] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان ما يتعلق بالشفاعة، ولم يجزم بحُكْمٍ؛ لأنَّ الشفاعة منها: الشفاعة المثبتة، ومنها: الشفاعة المنفية.

مسألة الشفاعة من المسائل العظام التي حصل فيها الخلاف بين أهل السُّنَّة والمخالفين لهم.

■ **شرح الترجمة:**

(الشَّفَاعَة): من الشَّفْع: ضد الوَتْر، وهي: التوسُّط للغير بجلب الخير.

الشفاعة في القرآن على نوعين:

* **النوع الأول:** الشفاعة المثبتة: هي التي أثبتها اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في كتابه، ولها شرطان:

الشرط الأول: الإذن للشافع أنْ يَشْفَع.

الشرط الثاني: الرِّضا عن المشفوع له.

* **النوع الثاني:** الشفاعة المنفية: هي التي نفاها اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في كتابه، وهي

التي يعتقدها المشركون في معبوداتهم.

■ شرح الباب:

• **وقول اللَّه تعالى:** ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾..

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾: يعني: بالقرآن، وقيل: باليوم الآخر.

والخطاب للمؤمنين، وقيل: للكفار. والأول أظهر.

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: لا شفيع لهم في الآخرة، هذه الشفاعة المنفية.

• **قوله:** ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾؛ أي: لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه.

• **قوله:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، هذا في الشفاعة المثبتة.

• **قوله:** ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾: ذكر في الآية شرطا الشفاعة: الإذن للشافع، والرِّضا عن المشفوع له.

مراد المؤلف من إيراد هذه الآيات: إبطال اعتقاد المشركين في شفاعة معبوداتهم بأنه ليس من شافع في الآخرة؛ إلا بإذن اللَّه تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

• **قوله:** ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

هذه الآية من أقوى الأدلة في إبطال تعلق المشركين بآلهتهم، تدرَّج سبحانه في بطلان هذه المعبودات:

فأولًا: نفى سبحانه أنها تملك، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

ثم نفى أن يكون بينها وبين اللَّه شَرِكة، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾.

ثم نفى اللَّه ﷻ أن تكون هذه المعبودات معينة له تعالى، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾؛ يعني: مُعِين.

ثم نفى ﷻ شفاعتها إلا بإذنه، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ الآيَاتِ .

الثَّانِيَةُ : صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ .

الثَّالِثَةُ : صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُثْبَتَةِ .

مراد المؤلف من إيراد هذه الآية : إبطال استحقاق ما يُعبد من دون اللَّه للعبادة بنفي أنها تملك ، أو لها نصيب من الملك ، أو أنها معين للَّه تعالى في ملكه ، أو أنها تشفع عند اللَّه تعالى .

• **قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : «نَفَى اللَّه عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ..» .**

كلام شيخ الإسلام في تفسير الآية وبيان معناها .

الشفاعة لها صُوَرٌ، ولكلِّ صورةٍ حُكْمٌ:

الصورة الأولى : طلب الشفاعة بطلب دعاء الحي الصالح ، هذا مشروع ، جاء في البخاري : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» ؛ يعني به : العباس بن عبد المطلب .

الصورة الثانية : طلب الشفاعة من الميت أو الغائب ، كأن يقول : يا رسول اللَّه اشفع لي ، أو يا حسين اشفع لي ، هذا شركٌ أكبر ؛ لأنه دعاء غير اللَّه تعالى .

الصورة الثالثة : الشفاعة يوم القيامة ، هذه حقٌّ للأنبياء والملائكة والمؤمنين وغيرهم ، بشرطين : الإذن للشافع ، والرضا عن المشفوع له .

الصورة الرابعة : طلب من اللَّه تعالى أن يشفِّع فيه نبيَّه ، كقوله : اللهم شَفِّع فيّ نبيَّك ، أو : اللهم ارزقني شفاعة نبيك ، هذا مشروع .

* * *

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.

الْخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ، وَأَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أَذِنَ اللَّه لَهُ شَفَعَ.

السَّادِسَةُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟

السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِالله.

الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

* * *



بابُ

قَوْلِ اللَّه تعَالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] الآية

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «**يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّه**».

فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟

فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللَّه ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] [١٨].

---

[١٨] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان أنَّ النبيَّ ﷺ لا يقدر على هداية مَنْ أَحَبَّ هدايته هدايةَ التوفيق والإلهام، فكيف يُعبد من دون اللَّه تعالى؟

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآيةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيَةَ.

وهذا الباب مشابهٌ في مضمونه لباب: قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

■ **شرح الترجمة:**

﴿إِنَّكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ.

﴿لَا﴾: نافية.

﴿تَهْدِى﴾: هداية توفيق وإلهام. وهي غير هداية الدلالة والإرشاد التي أثبتها اللَّه لنبيِّه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: أي: أحببت هدايته. وقيل: مَنْ أحببته لقرابته. والأول أقرب؛ لأنَّ سببَ النزول يدل عليه.

■ **شرح الباب:**

• **فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ..»**.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: إبطال ما يعتقده المشركون في النبي ﷺ من أنه يملك وينفع ويضر ويدبر، بنفي اللَّه تعالى عنه أنه يملك هداية من يحبه، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان حريصًا على هداية عمِّه أبي طالب، ومع ذلك: مات عمُّه أبو طالب على الكفر.

* * *

الثَّالِثَةُ: -وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الكُبْرَى- تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ﷺ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ قَالَ للرَّجُلِ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»، فَقَبَّح اللَّه مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلَامِ.

الْخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ.

السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ.

التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الأَسْلَافِ وَالأَكَابِرِ.

العَاشِرَةُ: الشُّبْهَةُ للمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ، لاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الشَّاهِدُ بِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالْخَوَاتِيمِ، لأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتكريرِهِ، فَلأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا.

* * *

بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَومِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعبَدْ؛ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ، عُبِدَتْ».

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ».

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ**». أَخْرَجَاهُ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ**».

وَلِـ«مُسْلِمٍ»: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنْ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»،

قَالَهَا ثَلَاثًا [١٩].

---

[١٩] لماذا عقد المصنف هذا الباب.

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب: لبيان أنَّ الغُلُوَّ في الصالحين سبب كفر بني آدم.

■ شرح الترجمة:

(الغلو): مجاوزة الحد؛ إما في الاعتقاد، أو في العمل.

وعلى هذا فالغلو: إما أن يكون غلوًّا اعتقاديًّا، وإما أن يكون غلوًّا عمليًّا، وأخطرها: الغلو الاعتقادي.

وأول انحراف وقع في الخليقة كان سببه الغلو في الصالحين، وذلك أنَّ قوم نوح غَلَوْا في الصالحين فعَبَدُوهم من دون اللَّه تعالى.

■ شرح الباب:

• قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الخطاب يشمل اليهود والنصارى، إلا أنَّ النصارى هم المقصودون قصدًا أَوَّلِيًّا بدليل سياق الآية. وناداهم اللَّه تعالى بأهل الكتاب للتعريض بهم؛ لأنَّهم خالفوا كُتُبَهم التي بين أيديهم.

﴿لَا تَغۡلُواْ﴾: لا تتجاوزوا الحدَّ المشروع لكم، النصارى غَلَتْ في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى جعلته إلهًا، أو ابنًا للإله؛ فكفروا بذلك، وغَلَتِ اليهودُ في تكذيب عيسى فكفروا به وحاولوا قتله، أو غَلَوْا في عُزَيْرٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أحد أنبيائهم فجعلته ابنًا للإله.

أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية: للتحذير من سلوك هذه الأمة مسالك من قبلها من الأمم التي غَلَتْ في صالحيها، فعبدتهم من دون اللَّه تعالى.

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام ..».**

قوله: (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ..).

وقيل: إنها أسماء لأبناء آدم كانوا صالحين فغَلَوْا فيهم وعبدوهم من دون اللَّه تعالى.

والقول الثالث في هذه المسألة: هي أسماء صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام.

فتحصل من هذا: أن الأقوال ثلاثة في المراد بهذه الأصنام، والمشهور: القول الأول.

كانت هذه الأصنام يعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب. وهذا قول الجمهور.
وقيل: إنها للعرب لم يعبدها غيرهم.

قوله: «فَأَوْحَى الشَّيْطَانُ»: وحي الشيطان: وسوسته وتزيينه.

قوله: «ونُسِيَ الْعِلْمُ»، وفي رواية: «وَتَنَسَّخَ»، وفي رواية: «ونُسِخَ».

مراد المؤلف رحمه الله من إيراد الآية: أنَّ الغُلُوَّ في الصالحين سببٌ للكفر.

• **قَالَ ابْنُ القَيِّم: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ..».**

تحصَّل من كلام ابن القيم رحمه الله: أنَّ الشِّرْكَ في قوم نوح عليه السلام مرَّ بثلاثة أطوار:

الطور الأول: العكوف على قبور الصالحين.

الطور الثاني: تصوير تماثيل للصالحين.

الطور الثالث: عبادة الصالحين.

الشِّرْك في العالم يرجع إلى أمرين :

* **الأمر الأول :** الاعتقاد في القبور ، وهذا شِرْكُ قَوْمِ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ .

* **الأمر الثاني :** الاعتقاد في الكواكب ، وهذا شِرْكُ قَوْمِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

● **وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ . . » :**

الإطراء : هو المبالغة في المَدْح .

وقيل : هو المَدْح بالباطل .

هل المراد من الحديث : منع مدحه -عليه الصلاة والسلام- مطلقًا ؟

ليس هذا المراد ؛ لأنَّ الحديثَ مَنَعَ من الإِطْرَاء ، وهو المبالغة في المدح أو المدح بالباطل ، ولأنَّ الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مدحوا النبيَّ ﷺ وأقرَّهم ؛ كمدح حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

من أمثلة الغلو فيه ﷺ : قول بعض المتحدثين والخطباء عنه -عليه الصلاة والسلام- : طِبُّ القلوب ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها .

مراد المؤلف من إيراد الحديث : أنَّ الغُلُوَّ في النبيِّ ﷺ يؤول إلى عبادته ﷺ .

● **قوله -عليه الصلاة والسلام- : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ » :**

هذا تحذيرٌ من الغلو ، والمراد بالهلاك : هلاك الدين .

● **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنْ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ . . » .**

« هَلَكَ » : وفي رواية عند أحمد وأبي داود : « أَلَا هَلَكَ » .

« الْمُتَنَطِّعُونَ » : المُتعمِّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلَامِ، وَرَأى مِنْ قُدْرَةِ اللَّه وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ العَجَبَ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَنَّهُ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ.

الثَّالِثَةُ: أَوَّلُ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللَّه أَرْسَلَهُمْ.

الرَّابِعَةُ: قَبُولُ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالفِطَرِ تَرُدُّهَا.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَزْجُ الْحَقِّ بِالبَاطِلِ، فَالأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ، وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّينِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا، فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ مِنْ «سُورَةِ نُوحٍ».

السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الْحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ، وَالبَاطِلُ يَزِيدُ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ البِدْعَةَ سَبَبُ الكُفْرِ.

التَّاسِعَةُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَئولُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ، وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ.

العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الغُلُوِّ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ.

والتنطُّع والتشدُّد والتكلُّف والتعمُّق والغلو جاءت في النصوص، ومعانيها متقاربة.

* * *

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: مَضَرَّةُ الْعُكُوفِ عَلَى الْقَبْرِ لأَجْلِ عَملٍ صَالِحٍ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ، وَالْحِكْمَةُ فِي إِزَالَتِهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ القِصَّةِ، وَشِدَّةُ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: وَهِيَ أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ: قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الكَلَامِ، وَكَوْنُ اللَّه حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ هُوَ الكُفْرُ الْمُبِيحُ للدَّمِ وَالْمَالِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ الَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: البَيَانُ العَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى**» إِلَى آخِرِهِ. فَصلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ بَلَّغَ البَلَاغَ الْمُبِينَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ الْمُتَنَطِّعِينَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ، وَمَضَرَّةِ فَقْدِهِ.

العِشْرُونَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ العُلَمَاءِ.

* * *

بَابُ
مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ -أَوْ: العَبْدُ الصَّالِحُ- بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ**».

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ القُبُورِ وَفِتْنَةِ التَمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ -وَهُو كَذَلِكَ-: «**لَعْنَةُ اللَّه عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». أَخْرَجَاهُ.

وَلِـ«مُسْلِمٍ» عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُو يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّه أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّه قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِه ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ -وَهُو فِي السِّيَاقِ- مَنْ فَعَلَهُ،

وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُو مَعْنَى قَولِهَا: «**خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**»؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَولَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ؛ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**».

وَلِـ«أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ**». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» [٢٠].

---

[٢٠] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب لبيان: ما جاء من التغليظ في عبادة أصحاب القبور وتعظيمهم والتوجُّه إليهم.

■ شرح الترجمة:

(التَّغْلِيظ): أي: التحريم.

(عَبَدَ اللَّه): بالصلاة، أو الدعاء، أو قراءة القرآن عند القبور.

(رَجُل صَالِح): الذي صلحت سريرته وعلانيته. وقيل: الذي قام بحقوق اللَّه وحقوق عباده.

■ شرح الباب:

● **فِي «الصَّحِيح» عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ..).**

«كَنِيسَةً»: متعبَّد النصارى.

«أُولَئِكَ»: يُروى بفتح الكاف وكسرها.

الشاهد منه قوله: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ».

• وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ؛ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ -وَهُو كَذَلِكَ-: «لَعْنَةُ اللَّه عَلَى اليَهُودِ..».

«نُزِلَ»: يعني: الموت.

«طَفِقَ»: أخذ.

«خَمِيصَةً»: كساء له أعلام.

«خَشِيَ»: يعني: النبي ﷺ، وفي رواية: «خُشِيَ»: يعني: الصحابة. والروايتان في البخاري ومسلم.

«قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ»: وفي رواية مسلم: «وَصَالِحِيهِمْ».

قول عائشة رضي الله عنها: «وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ»: يعني: أنَّ قَبْرَه -عليه الصلاة والسلام- لم يبرز، فلم يُدفن -عليه الصلاة والسلام- في مقابر البقيع، فلم يكن قبره بارزًا؛ يعني: ظاهرًا؛ لأمرين:

الأمر الأول: ما ذكرته عائشةُ وأُمُّ سلمة: أنَّ النبيَّ ﷺ حذَّر من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، فلولا ذلك أُبرز قبره.

الأمر الثاني: الذي حملهم على ألا يُبْرِزُوا قبره: أنَّه جاء في الحديث: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ» أخرجه ابن ماجه.

صور النَّهْي عن اتخاذ القبور مساجد في الأحاديث التي أوردها المؤلف:

الأول: أنَّه وَصَفهم بأنَّهم شِرَارُ الخَلْقِ: «أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ».

الثاني: لعن من فعل ذلك، «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ

أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

الثالث : النهي عن الفعل : «لَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» .

الرابع : إخباره ﷺ بغضَبِ اللَّه عليهم : «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

صور اتِّخاذ القبور مساجد:

* **الصورة الأولى :** أَنْ يبنيَ مسجدًا على القبر ؛ يعني : يأتي لقبر ويشيّد عليه مسجدًا .

* **الصورة الثانية :** أَنْ يُصلِّي إلى القبر ؛ يعني : يذهب إلى المقبرة، أو إلى القبر، ويصلي عنده، ويُستثنى من ذلك : صلاة الجنازة ؛ فإنها جائزة .

* **الصورة الثالثة :** العكوف عندها ، معنى العكوف : يعني : الملازمة على وجه التعبُّد .

من الشُّبه التي يكررها الذين يُروِّجون للشِّرْك : أنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ في مسجده، فيجوز بناء المساجد على القبور، والصلاة فيها ، وهذا باطل، وبطلانه من وجوه :

* **الوجه الأول :** أنَّ مسجد الرسول ﷺ لم يُبْنَ على القبر ، فإنَّ النبيَّ ﷺ هو الذي بَنَاه، وأثنى اللَّه عليه بقوله : ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

* **الوجه الثاني :** أنَّ النبيَّ ﷺ لم يُدفَن في المسجد، وإنما دُفن في حجرة عائشة رضي الله عنها .

* **الوجه الثالث :** أنَّ القَبْرَ بقي خارج المسجد إلى سَنَةِ أربعٍ وتسعين من الهجرة حتى مات عامة الصحابة رضي الله عنهم .

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَعْبُدُ اللَّه فِيهِ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَو صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْآمْرَانِ تَغَلَّظَ الأَمْرِ.

الثَّالِثَةُ: العِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ. كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي النَّزْعِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ مَنْ فَعَلَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُور أَنْبِيَائِهِمْ.

السَّادِسَةُ: لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهِ ﷺ تَحْذِيرُنَا عَنْ قَبْرِهِ.

الثَّامِنَةُ: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ.

التَّاسِعَةُ: فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهِ مَسْجِدًا.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنِ اتَّخَذَهَا مَسْجِدًا وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ،

---

* **الوجه الرابع:** أُدخلت الحجرة النبوية في عهد الوليد بن عبد الملك سنة أربع وتسعين.

* **الوجه الخامس:** أنكر بعض التابعين ذلك؛ كسعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ.

* **الوجه السادس:** أنَّ القبْرَ ليس في المسجد حتى بعد إدخاله؛ لأنَّه في حجرة مستقلة عن المسجد محوط بثلاثة جدران وسياج حديدي زيادة على ذلك.

* * *

فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ : الرَدَّ عَلَى الطَائِفَتَيْنِ اللَّتَينِ هُمَا شَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ السَّلَفِ مِنَ الثِّنْتَينِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ .

وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ الْقُبُورِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا الْمَسَاجِدِ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَا أُكْرِمَ بِهِ ﷺ مِنَ الْخُلَّةِ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مِنَ الْمَحَبَّةِ .

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ رضي الله عنه .

❋ ❋ ❋

بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأ»: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّه عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلحَاجِّ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللَّه ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ [٢١].

---

[٢١] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان أَنَّ الغُلُوَّ في القبور يؤدِّي إلى عبادة أصحابها.

وهذا الباب شبيه بالباب الذي قبله.

■ **شرح الترجمة:**

(الغُلُو): مضى تعريفه.

(قُبُور الصَّالِحِين): سبق التعريف بالصالح في الباب قبله.

(يُصَيِّرُها): يجعلها.

(أوثانًا): سبق التعريف به.

■ شرح الباب:

● رَوَى مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأ»: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ..».

«اللَّهُمَّ»: أي: يا اللَّه، حُذفت الياء وعُوضت عنها الميم فكانت: اللهم.

«لَا»: ناهية، وهو دعاء؛ لأنه من الأدنى إلى الأعلى.

هل استجاب اللَّه دعاء نبيِّه ﷺ؟

نعم، فقَبْرُه -عليه الصلاة والسلام- محاط بثلاثة جدران، وزيادةً على ذلك سياج حديدي، فقَبْرُه -عليه الصلاة والسلام- محفوظٌ من أن يكون وثنًا يُعبَد.

يقول ابن القيم:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]**، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ..».**

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: أي: أخبروني.

«يَلُتُّ»: أي: يخلط.

«السَّوِيق»: الشعير المخلوط بالتمر.

«العكوف»: الملازمة.

مراد المؤلف من إيراد كلام ابن عباس ومجاهد: أنَّ الغُلُوَّ في قبور الصالحين

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ الأَوْثَانِ .

الثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ العِبَادَةِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَا يُخَافُ وُقُوعُهُ .

الرَّابِعَةُ : قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ .

الْخَامِسَةُ : ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنَ اللَّهِ .

السَّادِسَةُ -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا- : مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ .

السَّابِعَةُ : مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ .

يجعلها أوثانًا تُعْبَدُ .

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ . . » :**

هذا الحديث صحَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة ، وله رواية أخرى بلفظ : «**زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ**» .

والقول بتحريم زيارة النساء للقبور رواية عند الإمام أحمد ، ويرى الجمهور الجواز ، وحديث الباب صريح في المنع والتحريم .

المراد بالسُّرُج : جمع سِرَاج ، وهي : القناديل .

ويفيد : المنع من إضاءة المقابر .

* * *

التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ القُبُورِ.

العَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا.

❊ ❊ ❊

بَابُ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّ كُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَينِ رضي الله عنهما: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتكُم قُبُورًا، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ**». رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةِ» [٢٢].

---

[٢٢] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان حرص النبيِّ ﷺ على حماية جناب التوحيد مما ينافي أصله أو كماله من الأعمال الموصلة للشرك.

ويبيِّن هذا: أنَّ النبيَّ ﷺ مَنَعَ من جملة الأمور؛ لكونها وسيلةً إلى الشرك، من ذلك: النهي الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، ومن ذلك: النهي عن

الذبح للَّه في مكان يُذبح فيه لغير اللَّه .

■ شرح الترجمة:

(المُصْطَفَى): المختار، في «صحيح مسلم»: «**وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

(جَنَاب): جانب، وهو ناحية الشيء وفناؤه. والمعنى: جميع جوانبه ونواحيه.

(وسده كل طريق): عملي.

■ شرح الباب:

• **وقول اللَّه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾...**

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾: الخطاب للعرب على قول الجمهور. وقيل: الخطاب للناس جميعًا.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: من جنسكم من العرب، على القول بأن الخطاب للعرب، أو: من جنسكم من البشر، على القول بأن الخطاب للناس جميعًا.

وفي قراءة: (أنفَسِكم) من النفاسة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: يعز عليه مشقتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أن تدخلوا الجنة. وقيل: أن تؤمنوا.

الشاهد من الآية: قوله ﷻ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أن النبي ﷺ حريص على أمته بدخولهم الإيمان والجنة بحماية جناب التوحيد.

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا..»**.

«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا» : أي : لا تتركوا العبادة فيها كالمقابر .

وقيل : لا تدفنوا أمواتكم في بيوتكم فتكون مقابر .

والمعنيان حق .

قوله : «وَصَلُّوا عَلَيَّ» : أمر ، والأمر يقتضي الوجوب .

والحنابلة على وجوبها في الصلاة، وفي خارجها قولان لهم : قول بالوجوب، وقول بالاستحباب .

وأكمل صيغها : الصلاة الإبراهيمية .

«عِيدًا» : العيد : اسم لما يعود ويتكرر، وهو يُطلق على الزمان والمكان، عيد زماني : يتكرَّر بتكرر السَّنة أو الأسبوع أو الشهر . وعيد مكاني : يُعتاد، ويجُتمع عنده .

المعنى : لا تقصدوه بالاجتماع عنده، ولا تنتابوه، كما يفعل بالأعياد المكانية التي شرعت في الإسلام، كالمسجد الحرام، وعرفة، ومزدلفة، ومنى .

وذهب بعض شرَّاح الحديث إلى : أنَّ المراد به الحث على كثرة زيارته ﷺ، وأن لا يُهمَل حتى لا يُزار إلا في بعض الأوقات كالعيد، الذي لا يأتي في العام إلا مرتين . لكن هذا التفسير مردود؛ لأنه متكلَّف، ويعارض ظاهر النص .

• وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنهما : (أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو ، فنهَاهُ ..) .

«فُرْجَة» : الكُوَّة، أو الفتحة في الجدار .

«فَيَدْعُو» : أي : يدعو اللَّه؛ تبركًا بالمكان .

«فَنهَاهُ» : النهي في كلام السَّلف يُحمل على التحريم .

الشاهد من الحديثين : «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا» «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا» .

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ .

الثَّانِيَةُ : إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الْحِمَى غَايَةَ البُعْدِ .

الثَّالِثَةُ : ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

مراد المؤلف من إيراد الحديثين : منع النبيِّ ﷺ من اتخاذ قبره عيدًا ؛ حرصًا منه ﷺ على حماية جناب التوحيد .

صور اتخاذ قبره ﷺ عيدًا:

١- شَدُّ الرَّحْل لزيارة قبره ﷺ .

٢- اعتياد زيارة قبره ﷺ في زمن مخصوص .

٣- اعتياد زيارة قبره ﷺ عند دخول المسجد النبوي .

وهذه الصور داخلة في النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيدًا .

٤- تحرِّي الدعاء عند قبره ﷺ .

وهذه الصورة داخلة في النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيدًا ، وهو شرك أصغر .

٥- دعاؤه ﷺ عند قبره .

وهذه الصورة داخلة في النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيدًا ، وهو شركٌ أكبر .

والزيارة الشرعية لقبره ﷺ : أن تكون من غير شدِّ الرَّحْل ، والوقوف أمام قبره الشريف من غير رفع اليدين أو الصوت ، وقول : (السلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته ، أشهد أنك بلغت الأمانة ، وأديت الرسالة ، ونصحت الأمة ، صلى اللَّه عليك ، وجزاك عن أمتك خيرًا) ، أو نحوًا من هذا .

* * *

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ.

الْخَامِسَةُ: نَهْيُهُ عَنِ الإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي الْمَقْبَرَةِ.

الثَّامِنَةُ: تَعْلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعُدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

❊ ❊ ❊

بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟

قَالَ: «**فَمَنْ؟**». أَخْرَجَاهُ.

وَلِـ«مُسْلِمٍ» عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ**

لأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَزَادَ: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُم يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي.**

وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-» [٢٣].

---

[٢٣] **الشرح:**

لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان أنَّ بعض هذه الأمة يقع في الشرك؛ لأنَّ بعض دُعاة الشرك ينفون وقوعه في هذه الأمة، ويقولون: إن الأمة محفوظة من الوقوع فيه.

■ **شرح الترجمة:**

(بَعْض): يعني: لا كُلّها؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أخبر في الحديث المُخَرَّج في «الصحيحين»: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ**».

(الأُمَّة): المراد: أُمَّة الإجابة.

(يَعْبُد): معروف.

(الأَوْثَانَ): جمع وَثَن، وهو: ما عُبِد من دون اللَّه مما ليس له صورة، والصنم: ما عُبِد على هيئة صورة.

وقيل: ما كان من حجارة فهو وثن، وما كان من خشب أو ذهب أو فضة فهو صنم.

■ **شرح الباب:**

• **قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. **وَقَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠]. **وَقَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

الشاهد من الآية الأولى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾، والطاغوت سبق بيانه.

الشاهد من الآية الثانية: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ﴾.

الشاهد من الآية الثالثة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

مراد المؤلف من إيراد هذه الآيات الثلاث: أنَّ الشِّرْكَ وقع في الأمم السابقة، والنبيُّ ﷺ أخبر أنَّ ناسًا من هذه الأمم سيتَّبِعون سَنن الأمم السابقة كما في الحديث الآتي.

• **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ..»**.

«لَتَتَّبِعُنَّ»: سبق بيان معناها.

«مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: سبق بيان المراد بها.

«حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ»: وفي رواية الترمذي: **«حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ»**.

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْمَائِدَةِ.

والقُذَّةُ: جمع قُذَذ؛ أي: ريش السهم. والمعنى: أنكم ستعملون مثل أعمالهم.

• **وَلِـ«مُسْلِمٍ» عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي..».**

الشاهد من الحديث: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ**».

«**فِئَامٌ**»: يعني: جماعات.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- أخبر بخبره الصادق عن وقوع الشرك في هذه الأمة.

يستدل المشركون بنفي وقوع الشرك في هذه الأمة بما جاء في «صحيح مسلم»: «أنَّ الشيطان يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَه المُصَلُّون في جزيرة العرب»، لكن يُرَد عليهم من وجوه:

* **الوجه الأول:** أنَّ هذا الحديث فيه إخبار عن يَأْس الشيطان، وليس فيه إخبار بامتناع وقوع الشِّرْك في الأمة.

* **الوجه الثاني:** أنَّ في الحديث: أنَّ المصلين هم الذين لا يقع منهم الشرك، لكن مَنْ عَدَى المصلين يقع منهم الشرك.

* **الوجه الثالث:** أنَّ المُراد بنفي وقوع الشرك في الأمة: يعني: اجتماع كلِّ الأمة عليه، لكن يقع من آحادها أو أفرادها.

* * *

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الرَّابِعَةُ -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا-: مَا مَعْنَى الإِيْمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟

هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَو هُو مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانِهَا؟

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُمْ إِنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ!

السَّادِسَةُ -وَهِيَ الْمَقْصُودُ بِالتَّرْجَمَةِ-: أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِوُقُوعِهَا -أَعْنِي: عِبَادَةَ الأَوْثَانِ- فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ.

الثَّامِنَةُ: العَجَبُ العُجَابُ: خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ الْمُخْتَارِ، مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَينِ، وَتَصْرِيْحِهِ أَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَالقُرْآنَ حَقٌّ، وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ!

وَقَدْ خَرَجَ الْمُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصرِ الصَّحَابَةِ؛ وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيْرٌ.

التَّاسِعَةُ: البِشَارَةُ بِأَنَّ الْحقَّ لَا يَزُولُ بِالكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَى، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ.

العَاشِرَةُ: الآيَةُ العُظْمَى: أَنَّهُمْ -مَعَ قِلَّتِهِمْ- لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ إِلَى أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ:

مِنْهَا: إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللَّه زَوَى لَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ فَوَقَع كَمَا أَخْبَرَ، بِخِلَافِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ.

وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ.

وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لأُمَّتِهِ فِي الاثْنَتَيْنِ.

وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ.

وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ.

وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ.

وَإِخْبَارُهُ بِظُهُورِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ.

وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي العُقُولِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: حَصْرُهُ الْخَوْفَ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ؟!

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.

❊ ❊ ❊



بَابُ
مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ».

وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ».

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّه إلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّولِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤمِنَاتِ**».

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيف**». رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ

الْخَطَّابِ رضي الله عنه : «أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ». قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها : أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا؛ فَقُتِلَتْ.

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ رضي الله عنه .

قَالَ أَحْمَدُ: «عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ» [٢٤].

---

[٢٤] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان ما جاء في حكم السِّحْر والساحر.

■ شرح الترجمة:

السِّحْر في اللُّغَة: ما خَفِيَ ولَطُفَ سَبَبُه. وسُمي الساحر بهذا؛ لأنَّه يقوم بسِحْرِه بطُرُقٍ خَفِيَّة.

السِّحْر في الشَّرْع: عُقَدٌ وعَزَائِمُ ورُقًى تؤثر في بدن المسحور وعقله، وتُفرِّق بين المرء وزوجه. هذا تعريف مشهور في كتب الحنابلة.

وقيل: السِّحْر هو: مزاولة النَّفْس الخبيثة لأقوال والأفعال يترتب عليها أحوال خارقة.

وجه كون السِّحْرِ شِرْكًا: أنَّ السِّحْرَ لا يتأتَّى إلا بالاستعانة بالجنِّ والشياطين.

ويردُ على هذا ما يذكره بعضُ الفقهاء مِنْ أنَّ الذي يَسْحَرُ بأَدْوِيَةٍ وتدخينٍ، وسَقْيِ شيءٍ لا يَضُرُّ؛ فإنه لا يُكَفَّر، ولا يُقْتَل، وإنما يُعزَّر.

فهل في السِّحْر ما لا يُستعان فيه بالشياطين؟

الذي يظهر أنَّ السِّحْر على نوعين، هما:

النوع الأول: ما فيه استعانة بالشياطين وتقرب لهم، هذا هو الذي يكفر فاعله ويُقتل.

النوع الثاني: شعوذة أو شعبذة، يُستخدم فيه أدوية وتدخينات، هذا يعزّر صاحبه ولا يكفر.

■ شرح الباب:

- **﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾:**

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾: أي: اليهود.

﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾: أي: اكتسبوا السحر ببذل إيمانهم الذي عبّر عنه بقوله: ﴿أَنفُسَهُمْ﴾.

﴿خَلَـٰقٍ﴾: من نصيب من الخير. وقيل: من خلاص من عذاب اللَّه تعالى.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ اللَّه تعالى نفى مطلق النصيب عن الساحر والسِّحْر، فهو كفرٌ به سبحانه.

- **قوله ﷻ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾**

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: المراد بهم اليهود.

﴿بِٱلْجِبْتِ﴾: السِّحْر.

﴿وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾: الشيطان، فسَّره بذلك عمر ومجاهد والشعبي. والعرب تُطلق الجبت على كل ما لا خير فيه.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ اليهود آمنوا بالسِّحْر والساحر، فهم كافرون باللَّه تعالى.

- **عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ..».**

الشاهد من الحديث: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ...**».

معنى «المُوبِقَاتِ»: أي: المُهْلِكَات.

الهلاك في الحديث على قسمين، هما:

١- الهلاك المطلق: أي: الكامل التام، وهو المُكفِّر المُخْرِج من المِلَّة، وهو يشمل الأول والثاني: الشِّرْك، السحر.

٢-مطلق الهلاك: أي: جزء منه، وهو يشمل الموبقات الخمس الأخرى.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ السِّحْرَ مُهْلِكٌ للعبد في دنياه وأُخراه.

وعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيفِ»:

«ضَرْبُهُ»: رويت بالتاء والهاء.

• **وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: «أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ». قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.**

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ ﵂: أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا؛ فَقُتِلَتْ.

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ ﵁.

قَالَ أَحْمَدُ: «عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ».

(قال أحمد: عن ثلاثة..): أي: جاء قتل الساحر عن عمر، وحفصة، وجندب، على القول بأنه صحابي.

وجاء قَتْلُ الساحر عن: عثمان بن عفان، وعبد اللَّه بن عمر، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم.

اختلف أهل العلم في حَدِّ الساحر، فقيل: يُقتَل حَدًّا، وقيل: يُقتَل ردةً، وقيل: يُقتَل إن كان في سحره شركٌ وإلا فلا، وقيل: يُقْتَل إِنْ قَتَلَ بسِحْرِهِ أحدًا.

والقول بقتله مذهب الصحابة ﵃، وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد.

*** فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَالفَرْقُ بينَهُمَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الإِنْسِ.

الْخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ الْمَخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ.

الثَّامِنَةُ: وُجُودُ هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!

* * *

وهل يُستتاب قبل قتله؟ على قولين، جماعة من الصحابة والتابعين، وهو مذهب الإمام مالك أنه يُستتاب قبل قتله، وأحمد: أنه لا يُستتاب.

* * *

بَابُ
بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ العَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ**».

قَالَ عَوْفٌ: العِيَافَةُ: زَجرُ الطَيرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ.

وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: «رَنَّةُ الشَّيْطَانِ». إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلأَبِي دَاودَ، وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا؛ فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ**».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**» [٢٥].

[٢٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب: لبيان أنَّ من السِّحْر ما يَشْتَرِك مع السحر المذموم شرعًا في اللُّغة، لكن قد يفارقه في الحُكْم.

ووجه الاشتراك اللُّغوي: أنَّ السِّحْرَ المذموم شرعًا سببُه خَفِيٌّ، وأنَّ ما سيأتي من الأنواع له تأثير خَفِي.

■ **شرح الباب:**

● **عَن قَبِيصَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»:**

«**العِيَافَة**»: زَجْرُ الطَّيْر والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، والفرق بينها وبين الطِّيَرة: أنَّ الطِّيَرَةَ في التشاؤم بها. فزَجْرُ الطَّيْرِ شَابَهَ السِّحْرَ من جهة تأثيره الخفي.

«**الطَّرْق**»: هو الضَّرْب بالحَصَى، أو الخَطُّ في الرَّمْل، وهو نوع من الكهانة. وستأتي معنا في باب: ما جاء في الكُهَّان.

«**الجِبْت**»: قال الحسن: رَنَّةُ الشيطان؛ يعني: وحيه لأوليائه. والذي في «المسند»: «الشيطان» من غير «رنة». وهو تفسير واضح.

● **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ««مَنِ اقْتَبَسَ شُعَبَةً مِنَ النُّجُوم..»**

لفظ الحديث عند أحمد وأبي داود وابن ماجه: «**مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ**».

المراد هنا: التنجيم، وسيأتي معنا في باب مستقل.

● **وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا؛ فَقَدْ سَحَرَ..»:**

«**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً**»: أي: مع ما يصاحبها من الاستعانة بالجنِّ والشياطين.

*** فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: أَنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ العِيَافَةِ وَالطَّرْقِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ.

الرَّابِعَةُ: العَقْدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ بَعْضَ الفَصَاحَةِ مِنْهُ.

«النَّفْثُ»: النَّفْخ مع الريق؛ لأنَّ السَّحَرَةَ يعقدون عُقَدًا، وينفثون فيها، فيكون السِّحْر، ويدل هذا على: أنَّ غالب السِّحْر مُرَكَّبٌ من ذلك.

- **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ..».**

«العِضَه»: بكسر العين وفتح الضاد. وقيل: بفتح العين وإسكان الضاد.

ما وجه مشابهة النَّمِيمة للسِّحْر؟

وجه المشابهة: أنَّ النميمةَ لها تأثيرٌ خفيٌّ في الإفساد بين الناس، كذلك السِّحْر له تأثير خَفِي في الناس.

- **عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»:**

«إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»: هل هذا ذمٌّ أو مدح؟ قيل: إنه ذمٌّ لمَنْ تَصَنَّع في الكلام، وتكلَّف فيه، وقيل: إنَّه مَدْحٌ، وحثٌّ على تحسين الكلام.

ما وجه مشابهة البيان -يعني: البلاغة والفصاحة- للسحر؟

البيان: يؤثر من وجهٍ خفي، وكذا السِّحْر المذموم شرعًا أيضًا.

* * *

بَابُ
مَا جَاء فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِم

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

وَلِلأَرْبَعَةِ، وَالْحَاكِمِ وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا» عَنْ [أَبِي هُرَيْرَةَ]: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**».

وَلأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**لَيْسَ مِنَّا: مَنْ تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ، أَو تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ؛ وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**». رَوَاهُ البَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ: «**وَمَنْ أَتَى...**» إِلَى آخره.

قَالَ البَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ الكَاهِنُ، وَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «العَرَّافُ: اسْمٌ لِلكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما -فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَاد» وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ-: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلَاقٍ» [٢٦].

---

[٢٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان ما يتعلق بالكهَّان، ولم يجزم بالحُكْم؛ لأنَّ إتيان الكهان له أحوال، ولكل حالٍ حُكْم.

■ شرح الترجمة:

(ما جاء): أي: من بيان حكمها.

(الكهان): جمع كاهن، والمراد بالكَهَانة: ادِّعاء علم الغيب، سواءً أكانت ماضيةً، أو مستقبلةً، أو حاضرة.

الكَهَانة لها صور:

الكتابة في الأرض، والخَطُّ فيها، والنظر في النجوم، وقراءة الكَفِّ، والنظر في الأبراج، وكتابة الحروف وغير ذلك.

والعَرَّاف: من أسماء الكاهن.

الكاهن كافرٌ؛ لأنَّه يدَّعي علم الغيب، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

■ شرح الباب:

• عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

قوله: «فَصَدَّقَهُ» ليس عند مسلم، فتكون رواية مسلم: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، ولفظ أحمد: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»، ورواية أبي داود بلفظ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»، ولفظ الترمذي: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»، وهو صحيح.

ما حكم إتيان الكاهن؟

اختلف أهل العلم في حكم إتيان الكاهن على أقوال:

القول الأول:

إتيان الكهان له حالتان:

* **الحالة الأولى:** أن يسألهم من غير أن يُصَدِّقهم؛ فهذا حُكْمُه: ما جاء في رواية مسلم: «**لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**».

* **الحالة الثانية:** أن يسألهم ويُصدِّقهم؛ فهذا حُكْمُه: ما جاء في رواية أحمد: «**فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**».

ويرد على هذا التقسيم: رواية الترمذي: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»، ورواية أحمد: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**».

هل الكفر في حال تصديق الكاهن: كفرٌ أصغر، أم أكبر؟

ذهب بعضُهم: إلى أنه كفر أكبر، رجَّحه الشيخ (سليمان بن عبد اللَّه)، وهو قول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ووجه هذا القول: أنَّ تصديق الكاهن في دعوى الغيب تكذيب للقرآن في قوله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

القول الثاني:

ذهب بعضهم: إلى أنّ إتيان الكهان وسؤالهم مع تصديقهم، أو دونه؛ كفر أصغر.

القول الثالث:

أنَّ الوعيد خرج مخرج التهديد والتخويف والتغليظ، قال الترمذي بعد روايته للحديث: «معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ».

وهذه الأقوال الثلاثة حكاها أئمة الدعوة.

والقول الأول والثاني رواية عن الإمام أحمد.

وحَكَمَ الشيخ سليمان بن عبد اللَّه على القول الثاني والثالث بالبطلان.

قوله: «لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ»؛ أي: لا يُثاب عليها، لكنها صحيحة.

• وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا: مَنْ تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ..».

الشاهد منه: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكَهَّنَ»؛ يعني: من صنع الكهانة، «أو تُكُهِّنَ لَهُ»؛ يعني: صُنعت له.

• وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما -فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَاد» وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ- ..).

«مَا أَرَى»: إما بفتح الهمزة؛ يعني: أعلم، أو بضمها؛ يعني: أظن.

«مَا لَهُ مِنْ خَلَاقٍ»: يعني: نصيب من الخير.

مراد ابن عباس رضي الله عنهما بكتابة أبا جاد: ما يُسَمَّى بعلم الحرف، أو أسرار الحروف، وهو الربط بين هذه الحروف وأرقامها وحركة النجوم في معرفة علم الغيب والإخبار به، فيعتقدون: أن الحروف مؤثرة في العالم، ويجعلون لكلِّ حرفٍ خاصية، ولكلِّ حرفٍ منزلة من المنازل الثمانية والعشرين للقمر، ومِمَّن

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الكَاهِنِ مَعَ الإِيمَانِ بِالقُرْآنِ .

الثَّانِيَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ .

الثَّالِثَةُ : ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ .

الرَّابِعَةُ : ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ .

الْخَامِسَةُ : ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ .

السَّادِسَةُ : تَعَلُّمُ «أَبَا جَادٍ» .

السَّابِعَةُ : ذِكْرُ الفَرْقِ بَيْنَ الكَاهِنِ وَالعَرَّافِ .

* * *

يصنع هذا : الرافضةُ وغلاة الصوفية ، وهو ميراث اليهود ، وعباد الكواكب من الصابئة .

وعلى هذا فتعلُّم أبا جاد على قسمين :

الأول : تعلُّمها لمعرفة حساب الجُمَّل ، هذا مباح ، ولا زال العلماء في القديم والحديث يستخدمونه في التأريخ .

الثاني : تعلمها وكتابتها ، وربط ذلك بحركة النجوم لمعرفة الغيب والإخبار به ، هذا شرك أكبر .

* * *



بَابُ
مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاودَ.

وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ».

وَفِي «الْبُخَارِيِّ» عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَو يُنَشَرُ؟ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ». انْتَهَى.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ السِّحْرَ إِلَا سَاحِرٌ».

قَالَ ابْنُ القَيِّم: النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

حَلُّ السِّحْرِ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمْلِ الشَّيطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَولُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيطَانِ بِمَا يُحِبُّ؛ فَيُبْطِلُ عَمْلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ» [٢٧].

---

[٢٧] لماذا عقد المصنِّف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان حُكم النُّشْرة.

■ **شرح الترجمة:**

(ما جاء): أي في بيان حكمها.

(النُّشرة): حَلُّ السِّحْر عن المسحور، وسُمِّيَت بالنُّشرة؛ لأنَّه يُنشَّر بها عنه ما أصابه من الداء؛ أي: يُكشف ويُزال.

النُّشرة على نوعين:

* **النوع الأول**: حلُّ السِّحْر بسِحْرٍ مثله، هذا محرم.

* **النوع الثاني**: حلُّ السِّحْر بالأدعية والأوراد والرقية، هذا مشروع.

■ **شرح الباب:**

● **عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ..).**

«النُّشرة»: أي: النُّشرة المعهودة في الجاهلية من حلِّ السِّحْرِ بسِحْرٍ مثله.

«مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»: أي: الشيطان المُسَلَّط من الساحر.

● **وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا (عن النُّشرة) فَقَالَ: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ».**

يُحمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه على أمرين:

الأمر الأول: جاء عند ابن أبي شيبة أن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون الرقى والتمائم والنُّشر». فيكون مراد الإمام أحمد: أن ابن مسعود يكره النُّشرة.

الأمر الثاني: يُحمَل قول ابن مسعود: (يُكْرَه هذا كلُّه)؛ يعني: التمائم التي من القرآن وغير القرآن، كما مضى في باب: الرُّقى والتمائم.

ما علاقة التمائم بحَلِّ السِّحْر؟

من طرق حلِّ السحر: عمل التمائم.

• **وَفِي «الْبُخَارِيِّ» عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَو يُنَشَّرُ؟ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ». انْتَهَى.**

«طِبٌّ»: يعني: سِحْرٌ، وسُمي بذلك تفاؤلًا، كما يُسمى اللديغ سليمًا.

«يُؤخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ»: يُحبس عنها، فلا يصل إلى جماعها.

وكلام سعيد بن المسيب محمول على النُّشرة الشرعية، لأنه قال: «إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ»، والنُّشرة بالسحر ليست من الإصلاح، قال تعالى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وحَمَلَ بعضُهم كلامَ سعيد بن المسيب على النُّشرة بالسِّحْر، ولذا نُسِبَ إليه القول بجواز حَلِّ السِّحْر بسِحْرٍ مثله للضرورة.

ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: «لَا يَحِلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ»؛ يعني: لَا يحل السِّحْر بغير الطريقة الشرعية إلا سَاحِر.

ومِمَّا وُجِد في كتب متأخري فقهاء الحنابلة في باب: «حُكْم المُرْتَدِّ»: أنَّهم يقولون: يجوز حلُّ السِّحْرِ بسِحْرٍ مثلِه للضرورة، وبعضهم يقول: للحاجة، لكن هذا القول ضعيف؛ بل هو مصادم للنصوص.

كيفية حَلِّ السِّحْر:

١- الرقية الشرعية.

٢- استخراج السِّحْر وإبطاله، كما في قصة سِحْر النبيِّ ﷺ، واستخراجه وإبطاله. رواه البخاري.

٣- الحجامة: ذكره ابن القيم في «زاد المعاد»، وروي أنَّ النبيَّ ﷺ احتجم بقَرْنٍ لمَّا طُبَّ؛ أي: سُحِرَ.

٤- أَخْذُ شيء من نبات السِّدْرِ، ودَقِّه، ووضعه في ماء، وقراءة آيات السِّحْر

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ.

الثَّانِيَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَالْمُرَخَّصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الإِشْكَالَ.

* * *

فيه، والاغتسال به. ذكر ذلك ابن حجر والقرطبي عن وهب بن منبه.

٥- أَخْذُ شيء من شجر العضاه، وهو كلُّ شجر فيه شوك، فيدقُّه، ويقرأ فيه، ويغتسل منه. روى ذلك عبد الرزاق عن الشعبي.

٦- أكل تمر من عجوة المدينة على الرِّيق، روى أحمد وأبو داود: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**في عَجْوَةِ العالِيَةِ أَوَّلَ البُكْرَةِ على رِيقِ النّفسِ شفاءٌ مِنْ كُلِّ سِحْرٍ أَوْ سم**».

* * *



بَابُ
مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] الآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**». أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «**وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ**».

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

وَلأَبِي دَاودَ -بِسَنَدٍ صَحِيحٍ-: عَنْ عُقبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحْدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسْنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**». وَمَا مِنَّا إِلَّا . . . وَلَكِنَّ اللَّه يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ.

رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَه مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟

قَالَ: «**أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ رضي الله عنهما: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**» [٢٨].

---

[٢٨] لماذا عقد المؤلِّف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان ما جاء في التطيُّر.

■ **شرح الترجمة:**

(مَا جَاءَ): أي: من الوعيد.

(التَّطَيُّر): مأخوذ من الطَّيْرِ، وهي التشاؤم، كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لحاجة؛ فإن رأى الطير طار يُمْنَةً تَيَمَّن به، ومضى في حاجته، ويسمونه بالسانح، وإن طار يُسْرَةً تَشَاءَمَ به ورجع، ويسمونه بالبارح.

وليس التطيُّر مقتصرًا على التطير بالطيور، وإنما يشمل غيرها، ولهذا فالتطيُّر هو: التشاؤم بمرئيٍّ، أو مسموعٍ، أو معلومٍ.

* **المَرْئي**: كأعرج أو حادث.
* **المسموع**: كصوت حيوان أو طير.
* **أو معلوم**: كشهر صفر، أو رقم (١٣).

■ **شرح الباب:**

● **قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾** [الأعراف: ١٣١]:

﴿طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾: مصائبهم عند اللَّه. وقيل: ما قدَّر لهم وعليهم من اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس: ١٩]:

﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾: أعمالكم معكم. وقيل: حظكم من الشر والخير معكم.

وقيل: إن شؤمكم من عند أنفسكم. وهذا أقرب.

وردت في القرآن في ثلاث آيات، أورد المؤلف منها: آية الأعراف، وآية ﴿يسٓ﴾، وفيه آية النمل أيضًا: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

ووجه إيراد هذه الآيات في باب الطِّيَرَة: أن التطيُّر من خصال الأمم الكافرة.

● **عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيرَةَ..».**

الشاهد فيه: «**لَا طِيَرَة**».

«**لَا طِيَرَة**» ليس المنفي أن المشركين لا يتطيرون، إنما المنفي تأثير الطِّيَرة، وإبطال ما كان يفعله أهل الجاهلية من التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات، فتردهم عن حاجتهم.

«**وَلَا صَفَرَ**»: المراد: شهر صَفَر، كانوا يتشاءمون به في الجاهلية. وقيل: داءٌ يصيب البطن.

«**وَلَا نَوْءَ**»: النَّجْم، كانوا يتشاءمون به في الجاهلية.

• **عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ»..**

الشاهد: «وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ».

«الفَأْلُ»: يُطْلَق في اللُّغَة على ما يسوء ويَسُرُّ، والمراد به شرعًا: ضد التشاؤم، وهو مشروع.

«الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»: ومنها: الأسماء الطيبة، ومن أمثلة ذلك: أن يسمع المريض من يقول: يا سليم، أو يسمع من فقد شيئًا: يا واجد، فيُسر بذلك ويتفاءل به.

• **عَنْ عُقبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا..».**

بيان الدعاء المشروع عند رؤية الإنسان ما يكره: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك»

• **عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «الطِيَرة شرك وما مِنا إلا..».**

«الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»: المراد: شركٌ أصغر.

«وَمَا مِنَّا إِلَّا»: مدرج من كلام ابن مسعود، ومعناه: وما منا إلا يقع في قلبه شيء من ذلك.

• **عن ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ..».**

«مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ»: هذا ضابط الطِيَرة.

ذكر النبي ﷺ كفارة ذلك فقال: **«اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ».**

«لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ»: يعني: لا قضاء إلا قضاؤك، وقيل: «لَا طَيْرَ»: الطير

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: التَّنْبِيهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

الثَّانِيَةُ: نَفْيُ العَدْوَى.

الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ.

الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الْهَامَةِ.

الْخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفَرِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الفَأْلِ.

المعروف؛ يعني: ليس إلا مخلوقًا من مخلوقاتك.

• **عَنِ الفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ رضي الله عنهما: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ».**

«إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»: ضابط الطِّيَرة هي: ما أمضاك أو رَدَّك، أما إذا وقع في قلبه شيء لكن لو قال الدعاء المشروع ولم يلتفت إليه، فإن هذا لا يضرُّه، وجاء هذا المعنى في حديث مسلم من حديث معاوية بن الحكم قال: وَكُنَّا نَتَطَيَّرُ. قال ﷺ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**».

حُكم الطِّيَرَة:

١- إن اعتقد أنها تفعل وتخلق، هذا شرك أكبر.

٢- إن اعتقد أنها سبب، هذا شرك أصغر.

* * *

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القَلْبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ، بَلْ يُذْهِبُهُ التوَكُّلُ.

التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهُ.

العَاشِرَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ الْمَذْمُومَةِ.

❋ ❋ ❋



بَابُ
مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللَّه هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِيْنِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا. فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». انْتَهَى.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَربٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ: أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» [٢٩].

---

[٢٩] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان ما جاء في التنجيم.

■ شرح الترجمة:

(ما جاء): أي: في بيان أحواله وأحكامه.

لم يذكر المؤلف حكم التنجيم؛ لأنَّ التنجيم له أحوال ولكل حال حكم.

(التنجيم): مأخوذ من النجم.

التنجيم له أربعة أنواع:

* **النوع الأول:** أن يعتقد أنَّ النُّجوم فاعلة ومؤثرة بنفسها: تخلق وترزق وتُصرف الكون، هذا شركٌ أكبر، وهو من جنس شرك الصابئة عباد الكواكب، الذين بُعِثَ فيهم إبراهيم عليه السلام.

* **النوع الثاني:** علم التأثير وهو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بجعلها علامةً على معرفة الغيب، هذا شركٌ أكبر.

* **النوع الثالث:** أن يجعل النجوم سببًا لحصول الشيء أو وقوعه، هذا شركٌ أصغر.

* **النوع الرابع:** علم التسيير وهو: الاستدلال بالنجوم في معرفة أوقات الصلاة، أو جهة القبلة، ونحوها من المصالح الدينية، هذا مشروع.

■ **شرح الباب:**

• **قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: «خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا..».**

كلام قتادة في حُكْم تعلُّم منازل القمر.

«**زِينَةً لِلسَّمَاءِ**»: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

«**رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**»: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].

«**وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا**»: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

«**فَمَنْ تَأَوَّلَ**»: أي: زعم.

«**غَيْرَ ذَلِكَ**»: أي: الثلاث المذكورة.

«**وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ..**».

القمر له منازل كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩] من حيث سيره،

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ.

﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلًا في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، ويستتر ليلةً إن كان الشهر تسعة وعشرين يومًا.

اختلف السَّلَف في حكم تعلم منازل القمر على قولين:

القول الأول: الجواز.

القول الثاني: التحريم، وذلك لعلتين: الأولى: مخافة التشاؤم على متعلِّمها، الثانية: أن يتعدَّى ما رُخِّص فيه.

والقول أول أقرب.

المراد بتعلُّم منازل القمر التي جرى فيها خلاف السلف: تعلُّمها للمصالح الدنيوية كدخول الفصول. وأما تعلُّمها لمعرفة مواقيت الصلاة وجهة القبلة فليس محل خلاف.

• وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»

«ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ»: أي: مع السابقين الأولين. وقيل: من غير سَبْقِ عذاب. وقيل: محمول على المستحلِّ. وقيل: ورد مورد الزجر والتغليظ وظاهره غير مراد. والقول الأخير أقرب.

ما وجه إيراد هذا الحديث في باب التنجيم؟

أنَّ التنجيم نوعٌ من السِّحر، كما في الحديث: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ».

* * *

الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الْخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ.

الرَّابِعَةُ: الوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

* * *



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُوم، وَالنِّيَاحَةُ**».

وَقَالَ: «**النَائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوتِهَا تُقَامُ يومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ صَلَاةَ الصُبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

قَالُوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرِنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤمِنٌ بِالكَوْكَبِ**».

وَلَهُمَا مِنْ حَديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ. وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُم: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّه هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢]» [٣٠].

[٣٠] لماذا عقد المصنف هذا الباب :

عقد المؤلف هذا الباب : لبيان حُكْم الاستسقاء بالنجوم .

▪ شرح الترجمة:

(ما جاء) : أي : من بيان أحواله وأحكامه .

(الاسْتِسْقَاء) : طلب السقيا .

(الأَنْوَاء) : جمع نَوْء ، وهو النَّجْم ، مأخوذٌ مِنْ نَاءَ : إذا سقط نجمٌ في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر ، وقيل : مأخوذ من ناء : إذا نهض وطلع . ولا تعارض بينهما فتكون النسبة لسقوط نجم وطلوع نظيره .

▪ شرح الباب:

• قوله تعالى ﷻ : ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ .

أي : تجعلون شكركم أنكم تكذبون . وقرأ عليٌّ وابن عباس رضي الله عنهم الآية : (وَتَجْعَلُونَ شكركم أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) .

وقيل : تجعلون حظَّكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون .

وقيل : تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . هذا هو الصحيح ، وهو سبب نزول الآية ، كما جاء عند مسلم من حديث ابن عباس أنه أورد ما جاء في حديث زيد بن خالد ، ثم قال ابن عباس : فنزلت هذه الآية .

• وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ . .» .

«أَرْبَعٌ» : لا يراد به الحصر ؛ لأن العدد لا مفهوم له .

«أُمَّتِي» : أي : أمة الإجابة .

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ الوَاقِعَةِ .

«**الجَاهِلِيَّةِ**» : سبق التعريف بها .

• **عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ : (صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ..) .**

«**الحُدَيْبِيَة**» : فيها لغتان : تخفيف الياء وتشديدها . والتخفيف أشهر .

الباء في قوله : «**بنَوْءِ**» سببية ؛ أي : بسبب النوء .

«**كَافِرٌ بِي**» : إن اعتقد أنه خالقٌ للمطر مُنزل له ، هذا كفرٌ أكبر . وإن اعتقد أنه سببٌ له ، هذا كفرٌ أصغر .

الشاهد من الحديث : «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**» .

صور الاستسقاء بالنجوم:

* **الصورة الأولى :** أَنْ يسأل النجوم السقيا ، هذا شركٌ أكبر .

* **الصورة الثانية :** أَنْ يعتقد أنَّ النجوم مدبِّر فاعلٌ منشئٌ للمطر ، كما كان اعتقاد بعض أهل الجاهلية ، هذا شركٌ أكبر .

* **الصورة الثالثة :** أَنْ يجعل النجوم سببًا لنزول المطر ، هذا شركٌ أصغر .

* **الصورة الرابعة :** أَنْ يجعل النجوم علامةً على الشيء ؛ كنزول المطر ، أو دخول الصيف ، ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به ، وقيل : بكراهته ؛ لأنها شعار الجاهلية ، ومَنْ سلك مسلكهم .

* * *

الثَّانِيَةُ: الأَرْبَعُ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الكُفْرِ فِي بَعْضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ عَنِ المِلَّةِ.

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ!

السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ للإِيمَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

السَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ لِلكُفْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا».

التَّاسِعَةُ: إِخْرَاجُ العَالِمِ لِلمُتَعَلِّمِ الْمَسْأَلَةَ بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهَا، لِقَوْلِهِ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

العَاشِرَةُ: وَعِيدُ النَّائِحَةِ.

* * *



بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآيَةُ [التوبة: ٢٤].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّه وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّه مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...**» إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ، حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]. قَالَ:

«الْمَوَدَّةُ» [٣١] .

---

[٣١] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب محبة اللَّه تعالى، ومحبة رسوله ﷺ.

■ شرح الترجمة:

• قـولـه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمِنَ﴾: تبعيضية.

﴿أَندَادًا﴾: الند: العِدْل.

المراد بالأنداد: الآلهة التي يعبدونها. وقيل: سادتهم الذين يطيعونهم في معصية اللَّه تعالى.

﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: المَحَبَّة: من الحبِّ، ضد البُغْض، وهي المودة التي تكون في القلب. وأما تعريفها؛ فالمحبة: هي المحبة لا تحدُّ بأوضح من ذلك. كما ذكر ذلك ابن القيم في «المدارج»، وإن كان ذكر ما يقارب من ثلاثين تعريفًا لها.

تفسّر جملة ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ بمعنيين:

* **المعنى الأول:** يحبُّ المشركون أصنامَهم كما يحبون اللَّه تعالى.

* **المعنى الثاني:** يحب المشركون أصنامهم كما يحب المؤمنون اللَّه تعالى.

والمعنى الأول أقرب؛ لأنَّ هذا هو الذي يتضمنه معنى التشريك.

المحبة على نوعين:

* **النوع الأول:** المحبة الطبيعية، وهي ثلاثة أنواع:

١- المحبة الفطرية؛ كمحبة الجائع للطعام.

٢- محبة رحمة وإشفاق؛ كمحبة الوالد لولده.

٣- محبة أنس وألفة؛ كمحبة الزوج لزوجه، والصاحب لصاحبه.

* **النوع الثاني:** محبة غير اللَّه مع اللَّه، وضابطها: أن تكون مستلزمة للذلِّ والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره. هذا شرك أكبر.

■ شرح الباب:

• **قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ الآية.**

﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: الأقارب الأدنون.

﴿اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها.

﴿كَسَادَهَا﴾: الكساد: ضد الرَّواج والنَّفاق.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: انتظروا. والأمر أمر تهديد؛ لأنه انتظار للشر.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بقضائه. وقيل: بفتح مكة. وقيل: العذاب. وقيل: القتل. والقول بأنه القتل والعذاب أقرب. والقول بأنه فتح مكة غلط؛ لأنَّ السورة نزلت بعده. قاله ابن عاشور.

مراد المؤلف من إيراد الآية: وجوب محبة اللَّه ومحبة رسوله ﷺ، وتقديمها على محبة كل شيء.

• **عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ..».**

«**لَا يُؤْمِنُ**»؛ يعني: لا يكمل إيمانه.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ كمال إيمان العبد لا يتحقق إلا بتقديم محبة النبي ﷺ على محبة غيره.

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ.

• عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: « «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا . . » ».

«حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»: انشراح الصدر به باستلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في ذلك.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ حلاوة الإيمان لا تتحقق إلا لمن كمُل إيمانه بتقديم محبة اللَّه ورسوله ﷺ على محبة من سواهما.

• وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ».

جاء معنى هذا الأثر مرفوعًا إلى النبي ﷺ من حديث أبي أمامة: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ». رواه أبو داود.

مراد المؤلف من إيراد أثر ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ من مستلزمات الإيمان الحبَّ والبغضَ في اللَّه تعالى.

محبة اللَّه ورسوله ﷺ على درجتين، هما:

* الدرجة الأولى: محبة اللَّه ومحبة رسوله ﷺ، هذه واجبة لا يتحقق الإيمان إلا بها، وفي انتفائها انتفاء للإيمان.

* الدرجة الثانية: تقديم محبة اللَّه عز وجل ومحبة رسوله ﷺ على محبة سائر الخلق، هذه واجبة لا يتحقق كمال الإيمان إلا بها.

* * *

الثَّالِثَةُ: وُجُوبُ مَحبَّتِهِ ﷺ عَلَى: النَّفْسِ، وَالأَهْلِ، وَالْمَالِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الإِيْمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الإِسْلَامِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ لِلإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا العَبْدُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا.

السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ القَلْبِ الأَرْبَعُ الَّتِي لَا تُنَالُ وِلايَةُ اللَّه إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ طَعْمَ الإِيْمَانِ إِلَّا بِهَا.

السَّابِعَةُ: فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلوَاقِعِ: أَنَّ عَامَّةَ الْمُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.

الثَّامِنَةُ: تَفْسِيرُ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللَّه حُبًّا شَدِيدًا.

العَاشِرَةُ: الوَعِيدُ عَلَى مَنْ كَانَتْ الثَّمَانِيَةُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللَّه فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

❊ ❊ ❊



بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] الآيَةَ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**إِنَّ ضَعْفَ اليَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمِدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**».

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ سَخِطَ اللَّه عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» [٣٢].

---

[٣٢] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان وجوب إفراد اللَّه تعالى بالخوف.

■ **شرح الترجمة:**

• **قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.**

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: معناه: أن الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه.

وقيل: إنما ذلكم الشيطان يُعظِّم المشركين في نفوسكم أيها المنافقون فتخافونه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾: نَهْيٌ عن الخوف من غيره سبحانه.

﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: علَّق تحقُّق الإيمان بإفراد اللَّه تعالى بالخوف. وهذا هو الشاهد من الآية.

الخوف في اللغة: كل غمٍّ وكرب يلحق الإنسان لأمر لم يقع.

الخوف من اللَّه تعالى: استشعار عظمته، والوقوف بين يديه، والمقصود منه: الكفُّ عن المعاصي، وفعل الطاعات.

والخوف والرهبة والخشية معانيها متقاربة، وليست مترادفة.

الخوف أنواع:

النوع الأول: الخوف الطبيعي، وهو ليس بداخل معنا في هذا الباب.

النوع الثاني: خوف السِّرِّ، معناه: أَنْ يخاف في سِرِّه أَنْ تُصيبَه الآلهة من دون اللَّه بأذى، وهذا الذي ذكره اللَّه ﷻ عن هودٍ عليه السلام لما قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، وهذا الذي نفاه إبراهيم عن نفسه بقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾، وهذا شركٌ أكبر. وضابط هذا النوع: أن يخاف مما لم تنعقد أسباب الخوف منه.

النوع الثالث: أن يترك الأمر بالواجب أو النهي عن المحرم خوفًا من الناس، هذا محرم. وهذا بشرط: أن يكون قادرًا على الأمر والنهي.

وقيل: إن هذا شركٌ أصغر. جاء عند الإمام أحمد وابن ماجه: «**لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالًا، ثُمَّ لَا يقُولُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ، فَيَقُولُ: رَبِّي خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى**».

وفي لفظ: «**فَيَقُولُ: مَخَافَةَ النَّاسِ. فَيَقُولُ: إِيَّايَ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَ**».

■ شرح الباب:

● **قوله**: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **الآية**.

الشاهد من الآية: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

الخشية أخص من الخوف؛ لأنها تكون مقرونةً بعِلْم وتعظيم؛ كمال قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

● **قوله ﷻ**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

نزلت هذه الآية في فريق من الذين أسلموا بمكة لا يصبرون على الأذى، فإذا لحقهم أذى المشركين رجعوا إلى الشرك بقلوبهم، وكتموا ذلك عن المسلمين، فكانوا منافقين.

ومعنى ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جعل فتنة الناس -أي: أذيتهم- حاملًا له على ترك الإيمان.

والمراد بالأذية في الآية: الأذية المحتملة أو المتوهمة، أما إذا كانت إكراها مُلجئًا فهذا عذرٌ لا تتناوله الآية بالذم.

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ .

الثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ .

الثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ العَنْكَبُوتِ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ اليَقِينَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى .

الْخَامِسَةُ : عَلَامَةُ ضَعْفِهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ : هَذِهِ الثَّلَاثُ .

• **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : «إِنَّ ضَعْفَ اليَقِينِ : أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ» .**

فيه ذم من قدَّم رضى الناس على سخط اللَّه ، فخافَ الناسَ ، ولم يَخَفْ من اللَّه تعالى .

• **وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ . . » .**

هذا لفظ ابن حبان ، ورواه الترمذي بلفظ : (كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنهما : أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما : سَلَامٌ عَلَيْكَ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ**» ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ) .

مراد المؤلف رحمه الله من إيراد الحديث : الوعيد لمَنْ خاف الناس فالتمس رضاهم وقدَّمه على رضى اللَّه تعالى .

* * *

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الْخَوْفِ للَّه مِنَ الفَرَائِضِ .

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ .

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ .

* * *



بَابُ
قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِيْنَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآيَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [٣٣].

---

[٣٣] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان وجوب إفراد اللَّه عز وجل بالتوكل.

■ **شرح الترجمة:**

• **قوله:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

تفيد الآية: وجوب التوكل على اللَّه وحده، أصل الكلام: فتوكَّلوا على اللَّه، لكن تقديم الجار والمجرور على لفظ الجلالة يفيد الحصر والاختصاص.

التوكل: هو اعتماد القلب على اللَّه والثقة به، وتفويض الأمر إليه، وهو حقٌّ خالصٌ للَّه تعالى، لا يجوز أن يصرف لغير اللَّه تعالى لا على وجه الاستقلال،

ولا على وجه التشريك؛ يعني: لا يجوز أن تتوكل على غير اللَّه استقلالًا، ولا يجوز أن تشرك مع اللَّه تعالى غيره، فلا تَقُلْ: توكلتُ على اللَّه وعلى فلان، أو توكلتُ على اللَّه ثم على فلان.

التوكُّل على غير اللَّه على نوعين:

* **النوع الأول:** التوكُّل على غير اللَّه من الأموات والغائبين فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، أو التوكُّل على غير اللَّه في جلب المنافع ودفع المضار، هذا شركٌ أكبر.

* **النوع الثاني:** التوكُّل على اللَّه لكن مع الاعتماد على الأسباب، هذا شركٌ أصغر.

والحقُّ: أن يتوكَّلَ على اللَّه، ويأخذ بالأسباب من غير أن يتعلَّق بها.

■ **شرح الباب:**

• **قوله:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

الشاهد من الآية: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

هذا في وصف المؤمنين، ويقال فيها ما قيل في الآية قبلها في إفادة الحصر والاختصاص بتقديم الجار والمجرور.

وجاء هذا في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، فقدَّم سبحانه ما حقّه التأخير ليفيد الاختصاص.

• **قوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

معنى الآية: حَسْبُك اللَّه، وحَسْبُ من اتبعك من المؤمنين. هذا رأي أكثر المفسِّرين.

وقيل: حَسْبُك اللَّه، وحَسْبُك المهاجرون والأنصار، وردّ هذا ابن تيمية

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَنْفَالِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ آيَةٍ فِي آخِرِهَا.

الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الطَّلَاقِ.

السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

السَّابِعَةُ: وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ- فِي الشَّدَائِدِ.

في «التدمرية».

• **قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

﴿حَسْبُهُۥٓ﴾: كافيه.

مراد المؤلف من إيراد الآيتين: أنَّ التوكُّل على اللَّه من أعظم الأسباب في جلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ..».**

مراد المؤلف من إيراد ذلك: أنَّ إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، وسيد الخلق ﷺ، كانا من المتوكِّلين على اللَّه تعالى، أو أنَّ التوكُّل سببٌ لحصول الخير ودفع المكاره في الدنيا والآخرة.

* * *



بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّه**».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّه، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ». رَوَاهُ عَبْد الرَّزَاق [٣٤].

---

[٣٤] لماذا عقد المصنف هذا الباب:

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: للتحذير من الأَمْن من مكر اللَّه تعالى.

■ شرح الترجمة:

● **قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.**

معنى الأمن من مكر اللَّه: الاسترسال في المعاصي، مع الاتكال على رحمة اللَّه.

نزلت هذه الآية في أعداء الرُّسُل الذين أشركوا باللَّه تعالى، استنكر اللَّه عليهم الأمن من مكره، ووصفهم بالخاسرين.

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَعْرَافِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْحِجْرِ.

الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ الله.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِي القُنُوطِ.

* * *

■ شرح الباب:

• **قوله تعالى**: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

القنوط: هو قطع الرَّجاء من رحمة اللَّه تعالى.

في الآية: ذمٌّ للقنوط، ووصفُ أهله بالضلال.

• **وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ..»**.

• **وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أَكبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِالله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ..»**.

اليأس: قيل: هو القنوط، وبعضهم يقول: اليأس: أشد.

ورَوْحُ اللَّه: رحمته، وقيل: فرجه.

مراد المؤلف من إيراد حديث ابن عباس وأثر ابن مسعود رضي الله عنهم: أنَّ الأمن من مَكْرِ اللَّه، والقنوط من رحمة اللَّه، من الكبائر.

* * *

بَابُ
مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّه الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّه

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّه فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «**لَيْسَ مِنَّا: مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**».

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّه بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ؛ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**». حَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ [٣٥].

---

[٣٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب:

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان وجوب الصبر على أقدار اللَّه.

■ شرح الترجمة:

(من الإيمان باللَّه): أي: بقضائه وقدره، وهو أحد أصول الإيمان الستة.

(الصبر على أقداره): **الصَّبْر في الشَّرْع**: حَبْس النَّفْس أو القلب عن التسخُّط، واللِّسان عن التشكِّي، والجوارح عن شقِّ الجيوب، ولطم الخدود، وغيرهما.

والصبر ثلاثة أنواع: الصبر على طاعة اللَّه، والصبر عن معصية اللَّه، والصبر على أقدار اللَّه.

وخصَّ المؤلف الصبر على أقدار اللَّه؛ لأنَّ التسخُّط على أقدار اللَّه منافٍ للتوحيد أو كماله.

■ شرح الباب:

• **قوله تعالى**: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: يعني: بقضائه وقَدَره.

وقيل: بأمر اللَّه.

وقيل: بعلم اللَّه. والمعاني متقاربة.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: قال علقمة بن قيس: هو الرجل تُصيبه المصيبة فيرضى ويسلِّم.

وقيل: يسترجع؛ أي: يقول: إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

وقيل: يُهدَى للصبر والرضا.

وقيل: يثبِّته على الإيمان.

وفي قراءة: (يَهْدَأْ قلبه).

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ..»**.

الشاهد منه: «**النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الإِيْمَانِ بِاللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.

النياحة: هي رفع الصوت بالبكاء على الميت، مع تعداد محاسنه.

قوله: «**كُفْرٌ**»؛ يعني: كفرٌ أصغر.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أنَّ كلمة الكُفْر في النصوص إنْ جاءت مُنَكَّرة فيُراد بها: الكفر الأصغر، وإن جاءت مُعرَّفة فيراد بها: الكفر الأكبر.

بم يُجاب عن إطلاق لفظ الكفر على هذه الأعمال؟

قيل: إن المراد: أنَّها من أعمال الكفر. وقيل: إنها تؤدِّي إلى الكفر. وقيل: إن ذلك في حقِّ المُسْتَحِلِّ.

وقيل: إطلاق لفظ الكفر على هذه الأعمال للتغليظ والزجر، وهو أقرب.

• **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا: مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ..».**

فيه: البراءة ممن فعل هذه الأفعال، ولفظ البراءة دليلٌ على أنها من الكبائر.

• **وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّه بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا..».**

• **وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ..».**

في الحديثين الأخيرين: فضل الصبر على البلاء، وأنَّ المصائب تكفِّر الذنوب.

* * *

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ: ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.

الْخَامِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللَّه بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ.

السَّادِسَةُ: إِرَادَةُ اللَّه بِهِ الشَّرَّ.

السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللَّه لِلعَبْدِ.

الثَّامِنَةُ: تَحْرِيمُ السَّخَطِ.

التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالبَلَاءِ.

❊ ❊ ❊



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] الآيَة.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**قَالَ اللَّه تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعَي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ [٣٦].

---

[٣٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: للتحذير من الرياء.

■ شرح الترجمة:

(ما جاء): أي: من بيان أحواله وأحكامه.

(الرِّيَاء): إظهار العبادة ليراها الناس فيمدحوا صاحبها.

ولم يذكر المؤلف حكم الرياء؛ لأنَّ الرِّياء له أحوال، ولكلِّ حالٍ حُكم.

■ **شرح الباب:**

• **قول اللَّه تعالى:** ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾.

الشاهد من الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾: يأمل.

﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: أي: رؤيته.

﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾: يعني: لا يرائي. قاله ابن عباس وغيره.

• **عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «قَالَ اللَّه تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعَي فِيهِ..».**

«تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»: المراد: أن عمل المرائي باطلٌ لا ثوابَ فيه ويأثم به.

مراد المؤلف رحمه الله من إيراد الحديث: أنَّ الرِّياء شركٌ مُحبطٌ للعمل.

• **وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟»..**

«الشِّرْكُ الخَفِيُّ»: محله خفي، وهو القلب.

«فَيُصَلِّي»: من باب المَثَل، وإلا فهي شاملة لجميع العبادات.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ الرياء من الشرك.

الرِّياء على نوعين:

❋ **الأول:** رياء المنافقين؛ بأن يكون كلُّ عمله أو أكثره لغير اللَّه تعالى، فهذا شركٌ أكبر.

❋ **النوع الثاني:** أن يطرأ الرِّياء على عمله، وهذا يقع من المسلم. وهو

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الثَّانِيَةُ: هَذَا الأَمْرُ العَظِيمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ: كَمَالُ الغِنَى.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الْخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ الْمَرْءُ لِلَّهِ، لَكِنْ يُزَيِّنُهَا؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ.

* * *

شرك أصغر.

والنوع الثاني له حالتان:

* **الحالة الأولى:** أَنْ يكون الباعث على العبادة الرِّياء، فهذا العمل حابط.

* **الحالة الثانية:** أَنْ يكون أصل العمل للَّه، لكن طرأ عليه الرِّياء، فإِنْ دَفَعه لم يضره، وإِنْ لم يَدْفَعْه واسترسل معه حبط عمله.

* * *



بَابٌ
مِنَ الشِّرْكِ: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ الآيَتَين [هود: ١٥].

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ؛ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ؛ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ؛ لَمْ يُشَفَّعْ**» [٣٧].

---

[٣٧] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: للتحذير من إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وبيان ما يترتب على ذلك من حبوط العمل.

■ شرح الترجمة:

هذا الباب أعم من الباب الذي قبله، فيدخل فيه الرياء، وهو من باب عطف العام على الخاص.

(الشِّرْك): يشمل الشرك الأكبر والأصغر.

(إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا) : أي : يقصد بعمله الجَاهَ، أو المنصب، أو الذِّكْر، أو المال، ونحوها .

■ شرح الباب:

• **قول اللَّه تعالى** : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ ؛ أي : يطلب بعمله الدنيا .

﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ : نوفِّ إليهم أجورهم في الدنيا .

﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ : أي : لا ينقصون أجرها .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ : إما على سبيل الخلود، أو ليس كذلك، على حسب الأحوال التي سأبيِّنها .

اختلف العلماء في المراد بالآية .

فقيل : نزلت في المؤمنين، فمَنْ أراد بعمله ثواب الدنيا حصل له، ولم يُنقص من الدنيا شيئًا .

وقيل : نزلت في الكفار، فمَنْ فعل منهم خيرًا في الدنيا حصل له، لكن لا أجرَ له في الآخرة .

وقيل : نزلت في أهل الرِّياء، يعمل أحدهم لأجل الدنيا فينال ما أراد في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب .

وقيل : نزلت الآية في كلِّ مَنْ يريد بعمله غير اللَّه تعالى، سواء أكان معه أصل الإيمان أم لا .

وسياق الآية يدل على أنَّها في الكفار، إلا أنها تتناول بالوعيد كل من عمل العمل الصالح وهو يريد الحياة الدنيا .

وهذه الآية لها نظائر في القرآن كقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]. وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ..».**

«**تَعِسَ**»: بكسر العين ويجوز فتحها؛ أي: هلك، وقيل: بعُد.

«**عَبْدُ الدِّينَارِ**»: أي: الحريص على جَمْعِه؛ فكأنه خادمه وعبده.

«**القَطِيفَةِ والخَمِيلَةِ**»: نوع من الثياب.

«**انْتَكَسَ**»: انقلب على رأسه.

«**وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»: أي: إذا دخلت فيه شوكة؛ فلا يجد من يخرجها له بالمنقاش. وهذا دعاء عليه.

مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من إيراد الحديث: ذم العمل لأجل الدنيا.

العمل من أجل الدنيا له أحوال:

* **النوع الأول**: أن يدخل الإسلام لأجل الدنيا، هذا شركٌ أكبر.

* **النوع الثاني**: أن تكون أعماله أو أكثرها لأجل الدنيا، هذا شركٌ أكبر.

* **النوع الثالث**: أن يعمل العمل الصالح المعيَّن لأجل المال والجاه ونحوهما، هذا شركٌ أصغر.

* **النوع الرابع**: أن يعمل العمل الصالح بقصد الحصول على أثره الدنيوي، من غير نظرٍ في الأثر الأخروي، مثل: مَنْ يجاهد للغنيمة، أو يَصِل رَحِمَه من أجل

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الآخِرَةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ هُودٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ الإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ: عَبْدَ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالْخَمِيصَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ: «**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**».

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «**تَعِسَ وَانْتَكَسَ**».

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «**وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**».

السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُجَاهِدِ الْمَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

* * *

زيادة الرزق على أثره، هذا محرمٌ ولا يُثاب على عمله.

* **النوع الخامس:** أن يقصد الأجرة على الأعمال الصالحة من غير نظر في الأجر الأخروي، مثل: مَنْ يطلب الأجرة على الأذان والإمامة، هذا شركٌ أصغر، ولا يثاب على عمله.

* * *

بَابُ
مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّه أَوْ تَحْلِيلِ مَا حرَّمَ اللَّه فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمه الله: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللَّه تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] الآيَةَ، أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ».

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةُ [التوبة: ٣١]. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ!

قَالَ: **«أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّه، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّه، فَتُحِلُّونَهُ؟»**.

فَقُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: **«فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ [٣٨].

[٣٨] لماذا عقد المصنف هذا الباب .

عقد اللَّه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب : لبيان وجوب إفراد اللَّه تعالى بالحكم والتشريع .

■ شرح الترجمة:

(العلماء والأمراء) : هؤلاء هم أولوا الأمر على أحد الأقوال، المذكورون في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقيل : إن المراد بأولي الأمر : الأمراء خاصة . وهو قول الجمهور كأبي هريرة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ .

وقيل : أهل العلم والقرآن خاصة .

وقيل : أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاصة .

وقيل : أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا .

والقول بأنهم الأمراء والعلماء هو الصحيح .

(فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) : يعني : اعتقاد تحريم الحلال، أو تحليل الحرام .

(اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) : يعني معبودين من دون اللَّه تعالى . والربُّ في الشرع يأتي بمعنى الإله، فهما كالإيمان والإسلام، والفقير والمسكين : إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا .

■ شرح الباب:

● **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا : «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ..» .**

مراد المؤلف من إيراد الأثر : تحريم تقديم أحدٍ من الناس على قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وما في ذلك من الوعيد .

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ.

• **وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ..».**

مراد المؤلف من إيراد كلام الإمام أحمد: وجوب تقديم قول رسول اللَّه ﷺ على قول من عداه من الناس.

• **عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.**

مضى الكلام على الآية في باب (تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه).

قوله: (لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ): أي: نسجد لهم، ففسَّر العبادة ببعض أفرادها.

«فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»: يعني: عبادة الطاعة.

طاعة العلماء والأمراء في تحريم الحلال أو تحليل الحرام على نوعين:

* **النوع الأول:** أن يُطيعهم ويعتقد تحريم الحلال وتحليل الحرام، فهذا شركٌ أكبر.

* **النوع الثاني:** أن يُطيعهم من غير أن يعتقد تحريم الحلال، وتحليل الحرام، فهذا شركٌ أصغر.

وطاعة الرهبان والأحبار وقع في الأمم السابقة، ووقع في طوائف من هذه الأمة؛ كالرافضة والصوفية الذين أطاعوا شيوخهم في تغيير الشرع وتبديل الدين.

* * *

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى العِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.

الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.

الْخَامِسَةُ: تَغَيُّرُ الأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الأَكْثَرِ: عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى: الوِلايَةَ، وَعِبَادَةُ الأَحْبَارِ هِيَ العِلْمُ وَالفِقْهُ! ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ، إِلَى أَنْ عُبِدَ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ -بِالْمَعْنَى الثَّانِي- مَنْ هُوَ مِنَ الْجَاهِلِينَ!.

❊ ❊ ❊

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] الآيات

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآيَة [المائدة: ٥٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**».

قَالَ النَّوَوِي: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ-. وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتْحَاكَمُ إِلَى اليَهُودِ -لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ- فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَينَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآيَةَ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فَقَالَ أَحْدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ. ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَذَكَرَ لَهُ أَحْدُهُمَا

القِصَّةَ، فَقَالَ -لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ-: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعْمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ [٣٩].

---

[٣٩] لماذا عقد المؤلف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة، وأنَّ التحاكم إلى غيرهما ينافي الإيمان، أو كماله الواجب.

■ شرح الترجمة:

﴿أَلَمْ﴾: استفهام يُراد به الإنكار.

﴿تَـرَ﴾: أي: تعلم.

﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: كذَّبهم اللَّه في زعمهم الإيمان.

﴿أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾: أي: الرجوع إلى الشيء في الخصومات.

﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾: كلُّ ما تحاكم إليه الناس دون الشرع فهو طاغوت.

﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾: هذا ركنُ النفي في شهادة لا إله إلا اللَّه، فإنها تقتضي الكفر بالطاغوت.

■ شرح الباب:

• **قوله**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: الخطاب للمنافقين. وقيل: لقوم لم يأتوا بعد. وقيل: لليهود. والأقرب الأول؛ لأنَّ السياق يدل عليه.

﴿لَا تُفْسِدُواْ﴾: الفساد: ضد الصلاح، ويكون بالكفر والمعصية.

• **قوله**: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾...

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ﴾ : نهيٌ عن الإفساد في الأرض بالشرك والمعصية .

مراد المؤلف من إيراد الآيتين : أنَّ اللَّه تعالى نهى عن الإفساد في الأرض .

ومن صور الإفساد : التحاكم إلى غير اللَّه ورسوله .

• **قوله :** ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ .

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ : يريدون .

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾ : أي : لا أحسن من اللَّه حكمًا .

مراد المؤلف من إيراد الآية : أنَّ التحاكم إلى غير اللَّه ورسوله من فعل أهل الجاهلية .

• **عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ . . »** .

«**لَا يُؤْمِنُ**» : أي : لا يكمل إيمانه .

«**هَوَاهُ**» : الهوى : ما تهواه النفوس .

• **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ الـيَهُودِ خُصُومَةٌ ..»** .

ذكر المفسِّرون هذه الرواية في سبب نزول الآية . وإسنادها ضعيف .

• **وَقِيلَ : «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فَقَالَ أَحْدُهُمَا : نَتْرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ الآخَرُ : إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ ..»** .

إسناد هذه القصة ضعيف .

وجاء في سبب نزول هذه الآيات مما صحَّ سنده : قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «إنَّ أبا بردة الأسلمي كان كاهنًا يقضي بين اليهود فتنافر إليه نفرٌ من المسلمين فنزلت

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ .

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية .

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَعْرَافِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ .

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ .

الْخَامِسَةُ: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نِزُولِ الآيَةِ الْأُولَى .

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ .

هذه الآية» .

الحكم بغير ما أنزل اللَّه له صور:

الصورة الأولى: تبديل الشريعة، أو نسخ الشريعة وإحلال القانون الوضعي مكانها، هذا شركٌ أكبر. وأوَّل من فعله التتار، فإنَّ زعيمهم جنكيز خان اخترع لهم قانونًا وسمَّاه «الياسق» .

النوع الثاني: أن يحكم في قضية معينة بغير بما أنزل اللَّه لهوًى أو رشوة، هذا شركٌ أصغر .

النوع الثالث: التحاكم إلى الأعراف والعادات على وجه الإلزام فيما يسمونه الحكم العُرْفي، أو ما يحكم به رؤساء العشائر، هذا شركٌ أكبر .

النوع الرابع: أن يعتقد أن حكم غير اللَّه مساوٍ لحكم اللَّه، أو أفضل من حكم اللَّه، أو أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل اللَّه، أو أنه مخيَّر بين الحكم بما أنزل اللَّه وغيره، هذا شركٌ أكبر .

* * *

السَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْمُنَافِقِ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الإِيْمَانِ لَا يَحْصُلُ لأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* * *

بَابُ
مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] الآيَةَ.

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» قَالَ عَليٌّ رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ؛ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّه وَرَسُولُهُ».

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصِّفَاتِ -اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ-، فَقَالَ: «مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ»! انْتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّه فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] [٤٠].

---

[٤٠] لماذا عقد المؤلف هذا الباب:

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان وجوب الإيمان بأسماء اللَّه وصفاته، وأنَّ جحد الأسماء والصفات كُفْرٌ.

■ شرح الترجمة:

(مَنْ): موصولية بمعنى الذي.

(جَحَدَ): أي: أنكر.

الطوائف المخالفة في هذا الباب:

* **الطائفة الأولى:** من جحد الأسماء والصفات، وهم الجهمية الخالصة. هؤلاء أجمع أهل السُّنة والجماعة على تكفيرهم. ممَّن نقل ذلك: ابن القيم في «النونية».

* **الطائفة الثانية:** مَنْ أثبت الأسماء وجحد الصفات، وهم المعتزلة. هؤلاء من المبتدعة، وذهب بعض أهل السنة إلى القول بكفرهم.

* **الطائفة الثالثة:** من أثبت الأسماء وبعض الصفات، وهم الأشاعرة. هؤلاء كالمعتزلة في الحكم عليهم.

وإنكار الأسماء والصفات له حالتان:

الحالة الأولى: إنكار جحود؛ كأن يقول: ليس من أسماء اللَّه «الرحمن»، هذا كفرٌ؛ لأنَّه تكذيب بالقرآن.

الحالة الثانية: إنكار تأويل، كأن يقول: إن صفة اليد هي القدرة، هذا فسقٌ، مادام التأويل سائغًا في العربية.

■ شرح الباب:

• **قول اللَّه تعالى:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ جحد أسماء اللَّه وصفاته كفرٌ مخرجٌ من الملة.

• **وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ..».**

مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من إيراد قول علي بن أبي طالب: أن تفاصيل مسائل الأسماء والصفات لا تُذكر للعامة؛ لأنَّ عقولهم لا تحتملها.

* فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : عَدَمُ الإِيْمَانِ بِشَيْءٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

الثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ .

الثَّالِثَةُ : تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ .

الرَّابِعَةُ : ذِكْرُ العِلَّةِ ؛ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرَ .

الْخَامِسَةُ : كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنِ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّه أَهْلَكَهُ .

* * *

• **وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ ابْنِ طَاوسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ ..» .**

(مَا فَرَقُ) : بفتح الفاء والراء وضم القاف مخففًا ؛ أي : خوفهم وفزعهم .

مراد المؤلف من إيراد أثر ابن عباس رضي الله عنهما : وجوب الإيمان بظاهر نصوص الصفات ، والتسليم بذلك ، وإن لم يُحط بها علمًا .

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: «هُو قَولُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّه: «يَقُولُونَ: لَولَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «**إِنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...**» الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ-: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ» [٤١].

---

[٤١] لماذا عقد المؤلف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان وجوب إضافة النعم إلى اللَّه تعالى.

■ شرح الترجمة:

﴿يَعْرِفُونَ﴾: فيه ذم المعرفة، ومنه قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]. لكن يرد على هذا قوله في حديث ابن عباس في رواية مسلم: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: أَنْ يَعْرِفُوا اللَّهَ**».

﴿نِعْمَةَ﴾: المراد بالنعمة محمدًا ﷺ.

وقيل : الإسلام .

وقيل : ما عدَّده في السورة من النِّعَم . وأكثر السلف على ذلك .

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ : أي : يجحدونها إن كان المراد : النبيَّ ﷺ أو الإسلامَ . وإن كان المراد : ما عدَّده اللَّه من النعم ؛ فسيأتي بيان معناه فيما نقله المؤلف عن السلف .

■ شرح الباب:

• قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ- : «هُو قَولُ الرَّجُلِ : هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي» .

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قول مجاهد بمعناه، ولفظه في كتب التفسير : «هِيَ المساكن والأنعام وما يُرزقون منها ، والسَّرابيل من الحديث والثياب، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره، بأن تقول : هذا كان لآبائنا فورّثونا إياها» .

«فورثونا إياها» : ليس هذا على سبيل الإخبار ، وإنما على سبيل الاعتداد والتعالي .

مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من إيراد أثر مجاهد : أنَّ نسبة النِّعم إلى غير اللَّه على سبيل التعالي والاعتداد ينافي كمال التوحيد .

• وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّه : «يَقُولُونَ : لَولَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا» .

سيأتي الكلام على هذا اللفظ ودرجاته وأحواله في الباب الذي يليه .

• وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : «يَقُولُونَ : هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا» .

(بشفاعة آلهتنا) : هذا شرك أكبر .

• وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الذي فيه : «إنَّ اللَّه تَعَالَى ..» .

مراد المؤلف من إيراد كلام أبي العباس ابن تيمية : التنبيه إلى ما يقع فيه

* فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا .

الثَّانِيَةُ : مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرٍ .

الثَّالِثَةُ : تَسْمِيَةُ هَذَا الكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ .

الرَّابِعَةُ : اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي القَلْبِ .

* * *

الناس من شرك الألفاظ التي تنافي كمال الإيمان الواجب .

حكم إضافة النعم إلى غير اللَّه تعالى:

* النوع الأول : إضافة خلق وإيجاد ، هذا شرك أكبر .

* النوع الثاني : إضافة سبب على سبيل التعالي والاعتداد ، هذا شرك أصغر .

* النوع الثالث : إضافة على سبيل الإخبار ، كقوله لمن سأله : هذا مالي ورثته عن أبي ، أو حصّلته من عملي في الوظيفة ، هذا جائز .

* * *

بابُ
قَوْلِ اللَّه تعالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -فِي الآيَةِ-: «الأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَودَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّه وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي، وَتَقُولُ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّه وَفُلَانُ؛ لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّه بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّه كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: «أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّه وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنَّ يَقُولَ: بِاللَّه ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ لَوْلَا اللَّه ثُمَّ فُلَانٌ. وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللَّه وَفُلَانٌ» [٤٢].

[٤٢] لماذا عقد المؤلف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب: لبيان بعض صور الشرك الأصغر في الألفاظ.

وهذا الباب قريب من الذي قبله.

■ **شرح الترجمة:**

﴿لَا﴾: نافية.

﴿أَندَادًا﴾: النِّد: أي: المساوي المماثل.

التنديد هنا: يشمل الشرك الأصغر والشرك الأكبر، لكن الصور التي ذكرها المؤلف مما يدخل في الشرك الأصغر.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: وأنتم ذو علم.

والمراد بالعلم هنا: العقل التام، ورجحان العقل.

وقيل: المراد بالعلم: المعرفة؛ يعني: وأنتم تعلمون بأن اللَّه هو الخالق الرازق.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أن هذه الألفاظ -من الشرك الأصغر الذي اعتبره السلف تنديدًا- داخلة في الآية الكريمة.

■ **شرح الباب:**

● **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -فِي الآيَةِ-: «الأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَودَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّه وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي، وَتَقُولُ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ..».**

فسَّر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا التنديد بصورتين:

الصورة الأولى: الحلف بغير اللَّه في قوله: (واللَّه وحياتك يا فلان).

الصورة الثانية: إضافة النعم إلى سبب على سبيل التعلق أو الاعتماد في

قوله: (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص).

قول ابن عباس رضي الله عنهما: (هَذَا مِنَ الشِّرْكِ): أي: الشرك الأصغر.

• **وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ..».**

«مَنْ حَلَفَ»: الحَلِف واليَمِين والقَسَم بمعنى واحد، وهو: توكيد الأمر بذكر اسم اللَّه تعالى، أو صفة من صفاته.

«فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»: المراد: الشرك الأصغر.

والحلف بغير اللَّه شرك أصغر؛ إلا إذا اقترن بذلك تعظيم المحلوف به خوفًا ورجاءً؛ كالحلف بالأولياء، فهو شرك أكبر.

من الضروري: أن ننتبه إلى ما يذكره مروِّجة الشرك، أو المهوِّنين من شأنه، من جواز الحلف بغير اللَّه تعالى لثلاث شُبُهات:

الشبهة الأولى: حكاية خلاف الفقهاء في مسألة الحلف بالنبيِّ ﷺ؛ بذهاب بعضهم إلى الكراهة، وبعضهم إلى الجواز، وبعضهم إلى التحريم، واعتماد هذا الخلاف في القول بجواز الحلف بالنبيِّ ﷺ.

ويُرد على ذلك من ثلاثة وجوه، هي:

الأول: أنَّ النصوص الصحيحة الصريحة دلَّت على منع الحلف بغير اللَّه تعالى، كقوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**» رواه البخاري ومسلم، وكقوله: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» رواه الترمذي. وكقوله: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**» رواه أبو داود. والحلف بالنبي ﷺ داخل في المنع.

الثاني: أنَّ قول الفقيه يُحتج له، ولا يُحتج به، والأمة مُجمعة على أن قول الفقيه ليس بدليل شرعي.

الثالث: نقل ابن عبد البر في «التمهيد» الإجماع على أنَّ الحَلِف بغير اللَّه تعالى معصية لا تجوز.

الشبهة الثانية: أنَّ بعض الفقهاء صرَّح بكراهة الحَلِف بغير اللَّه كالحَلِف بالأمانة مثلًا.

يُردُّ عليهم من وجهين:

الأول: قد يُراد بالكراهة: التحريم.

الثاني: أنَّ النصوص صريحة في أنَّ الحَلِف بغير اللَّه تعالى من الشرك الأصغر، فلا تُعارض بقول فقيه!!

الشبهة الثالثة: ما جاء في «صحيح مسلم» من قوله ﷺ: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**».

ويُردُّ عليه من وجوه:

الأول: أن لفظة «وأبيه» غير محفوظة.

الثاني: أن هذا على تقدير حذف «وربِّ أبيه».

الثالث: أن هذا مما يجري على اللسان ولا يُقصد به الحلف.

الرابع: أنَّ هذا خاصٌّ بالنبيِّ ﷺ لبُعْدِه عن الشِّرْك.

الخامس: أنَّ فيه تصحيفًا، بتصحيف «واللَّه» إلى «وأبيه».

السادس: القول بالنَّسْخ، وأنَّ ذلك كان في أول الإسلام، ثم نُهي عنه. وأكثر الشُّرَّاح على ذلك.

• **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّه كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ ..».**

وجه ذلك: أنَّ الحَلِفَ باللَّه كاذبًا كبيرةٌ من كبائر الذنوب، والحَلِف بغيره صادقًا شركٌ أصغر، والشِّرْك أعظم من الكبيرة.

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ فِي الأَنْدَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم يُفَسِّرُونَ الآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ بِأَنَّهَا تَعُمُّ الأَصْغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللَّه شِرْكٌ.

وروي هذا القول عن عبد اللَّه بن عباس، وعبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهم.

• وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ فُلَانٌ..».

قول الرجل: «ما شاء اللَّه وشاء فلان»، له ثلاث درجات:

* الدرجة الأولى: العطف بالواو: «ما شاء اللَّه وشاء فلان»، هذا لا يجوز، وهو شركٌ أصغر.

* الدرجة الثانية: العطف بـ(ثم): «ما شاء اللَّه ثم فلان»، هذا يجوز.

* الدرجة الثالثة: قول: «ما شاء اللَّه وحده»، هذه درجة الكمال.

الضابط الذي ينقل هذه الصور من الشِّرك الأصغر إلى الشرك الأكبر: أَنْ يُعَظَّم غير اللَّه كتعظيم اللَّه تعالى.

جاء عن إبراهيم النخعي: «أنه يكره أن يقول: أعوذ باللَّه وبك. ويجوز أن يقول: باللَّه ثم بك..».

«يكره»: الكراهة عند المتقدمين محمولة على التحريم.

«أعوذ باللَّه وبك»: هذا شركٌ أصغر؛ لأنَّ فيه تسوية الخالق والمخلوق.

* * *

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّه صَادِقًا، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ اليَمِينِ الغَمُوسِ.

الْخَامِسَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ «الوَاوِ» وَبَيْنَ «ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ.

* * *

بَابُ
مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّه فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّه فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ؛ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**» . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ حَسَنٍ [٤٣] .

---

[٤٣] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، ومن تعظيمه سبحانه: الرِّضا إذا حُلف له باللَّه تعالى .

■ شرح الترجمة:

(لم يقنع): لم يَرْضَ، كما جاء في حديث الباب .

■ شرح الباب:

● **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ . . »** .

«فَلْيَرْضَ»: أي: يجب الرِّضا إذا حُلف له باللَّه؛ لأنه رتَّب الوعيد بقوله: «**وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**» .

اختلف في المراد بمن يحب الرضا بيمينه؟

قيل: إنَّ هذا الحديث خاصٌّ بالحَلِف عند القاضي أو الحاكم .

وقيل: إنَّه خاصٌّ بمَنْ عُلِمَ صِدْقُ يمينه .

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : النَّهْيُ عَنِ الْحَلِفِ بِالآبَاءِ .

الثَّانِيَةُ : الأَمْرُ لِلمَحْلُوفِ لَهُ بِاللَّه أَنَّ يَرْضَى .

الثَّالِثَةُ : وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ .

* * *

وقيل : إنَّ هذا عامٌ، فكلُّ مَنْ حُلِفَ له باللَّه فَلْيَرْضَ .

والظاهر : أنَّ الرِّضا يكون لمن عُلِم صِدْقُه، ويدل عليه السياق : «**مَنْ حَلَفَ بِاللَّه فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**» .

* * *

بَابُ
قَوْلِ: «مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ»

عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُون: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنَّ يَحْلِفَوا أَنْ يَقُولُوا: «**وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ شِئْتَ**». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ. فَقَالَ: «**أَجعلتَنِي للَّه نِدًّا! مَا شَاءَ اللَّه وَحْدَهُ**».

وَلابْنِ مَاجه، عَنِ الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا- قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفرٍ مِنَ اليَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكَمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَولَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيرٌ ابْنُ اللَّهِ.

قَالُوا: وَأَنْتُمْ، لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!

ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلتُ: إِنْكُمْ لأَنتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ!

قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَخْبرتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ.

قَالَ: «**هَلْ أَخْبَرتَ بِهَا أَحَدًا؟**».

قُلتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحَمِدَ اللَّه، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤيَا، أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَحْدَهُ**» [٤٤].

---

[٤٤] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان حكم قول الرجل: «ما شاء اللَّه وشئت».

■ **شرح الترجمة:**

(**باب قول**: ما شاء اللَّه وشئت): أي: ما جاء أنَّ قول: (ما شاء اللَّه وشئت) شركٌ أصغر.

■ **شرح الباب:**

• **عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُون: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالكَعْبَةِ..».**

الشاهد من الحديث: «إنكم تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ».

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ. فَقَالَ: «أَجعلتَنِي للَّه نِدًّا!..».**

الشاهد منه: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**»؛ أي: مثيلًا ومساويًا للَّه تعالى.

• **عَنِ الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا- قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكَمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَولَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: عُزَيرٌ ابْنُ اللَّهِ..».**

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: مَعْرِفَةُ اليَهُودِ بِالشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي للَّه نِدًّا؟**» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ   سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

وَالبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ لِقَوْلِهِ: «يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا».

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الأَحْكَامِ.

* * *

الشاهد منه: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ**».

مراد المؤلف من إيراد هذه الأحاديث: أنَّ قول (ما شاء اللَّه وشئت) شركٌ أصغر ينافي كمال التوحيد.

درجات قول (ما شاء اللَّه وشاء فلان):

الدرجة الأولى: (ما شاء اللَّه وشاء فلان)، هذا لا يجوز، وهو شرك أصغر.

الدرجة الثانية: (ما شاء اللَّه ثم شاء فلان)، وهذا هو الواجب.

الدرجة الثالثة: (ما شاء اللَّه وحده)، وهذا أكمل.

* * *



بَابُ
مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الآيَةُ [الجاثية: ٢٤].

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللَّه تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّه هُوَ الدَّهْرُ**» [٤٥].

---

[٤٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان حكم سَبِّ الدَّهْر.

■ **شرح الترجمة:**

(سَبّ): السَّبُّ: هو الشَّتْم والتقبيح، واللَّعْن منه.

(الدَّهْر): الزمان.

(آذى اللَّه): بسبِّ الدَّهْر.

سَبُّ الدَّهْر له صور، هي:

* **الصورة الأولى:** أن يكون من الإخبار، دون عَيْب للزمن، كما جاء في سورة يوسف: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾، وكما قال إبراهيم: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، وهذا لا بأس به.

* **الصورة الثانية :** سَبُّ الدَّهْر على وجه العَيْب، مع اعتقاده أنَّه الفاعل، هذا شركٌ أكبر.

* **الصورة الثالثة :** سَبُّ الدَّهْر على وجه العَيْبِ، مع اعتقاده أنَّ اللَّه هو الفاعل، هذا محرَّم.

■ **شرح الباب:**

● **وقول اللَّه تعالى : ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ الآية.**

﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ : أي : ينكرون البعث.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ : نموت نحن ويحيا أولادنا. وقيل : يموت بعضنا ويحيا بعضنا. وقيل : فيه تقديم وتأخير؛ أي : نحيا ونموت. وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ : أي : الأيام.

مراد المؤلف من إيراد الآية : أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا ينسبون التأثير والأحداث إلى الدهر.

● **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «قَالَ اللَّه تَعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ..».**

«يَسُبُّ الدَّهْرَ» : كانوا في الجاهلية يُسندون ما يصيبهم من البلاء إلى الدَّهْر ويَسُبُّونه، وهم في الحقيقة يسبون اللَّه تعالى؛ لأنه الفاعل جل وعلا.

قوله : «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» : فسَّره بقوله : «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

الدهر ليس من أسماء اللَّه؛ لأنَّ من قواعد الأسماء والصفات : أنَّ أسماء اللَّه تعالى هي البالغة في الحُسْن غايته، وعدَّ ابنُ حزم «الدَّهْرَ» من أسماء اللَّه، وهذا غلطٌ.

* * *

*** فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذًى لِلَّهِ.

الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «**فَإِنَّ اللَّه هُوَ الدَّهْرُ**».

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ بِقَلْبِهِ.

* * *



بَابُ
التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّه رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ**».

قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ: شَاهَانْ شَاهْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّه يوم القِيامَةِ وَأَخْبَثُهُ**»

وَقَوْلِهِ: «**أَخْنَعَ**» **يَعْنِي**: **أَوْضَعَ** [٤٦].

---

[٤٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، ومن تعظيمه التأدُّب معه، فلا يُسَمَّى بقاضي القضاة.

■ شرح الترجمة:

(التَّسَمِّي): يُسَمِّي نفسَه، أو يُسَمِّيه غيرُه ويرضى.

(قَاضِي): القاضي هو الحاكم.

(ونحوه): كحاكم الحُكَّام، وسلطان السلاطين.

■ شرح الباب:

● **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّه رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ..».**

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.

الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ القَطْعِ بِأَنَّ القَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللَّهِ ﷻ.

* * *

«أَخْنَع»: أَوْضَع وأَحْقَر. وقيل: أَفْجَر. وقيل: أكذب الأسماء. وقيل: أقبح.

«تَسَمَّى»: سَمَّى نفسَه، أو سَمَّاه غيرُه ورضي بذلك.

«مَلِك الأَمْلَاكِ»: أي: ملك الملوك. والحديث يفيد تحريم التسمِّي بهذا الاسم.

«شَاهَانْ شَاهْ»: بالفارسية معناها: ملك الأملاك.

وفي رواية: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ**».

وفي لفظ: (أَخْبَثُ)، وفي لفظ: (أَخْنَع).

ذهب بعضهم: إلى جواز التسمِّي بقاضي القضاة، واستدل بأنَّه لم يأت فيه مَنْعٌ بخصوصه، وأنَّ أهل العلم دَرَجوا على إطلاقه؛ كابن حجر، وابن كثير، وغيرهما.

والقول بالمنع أقرب لدخوله في معنى الحديث.

* * *

بَابُ
احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّه تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّه هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**».

فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ.

فَقَالَ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟**».

قُلْتُ: شُرَيحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ.

قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**».

قُلْتُ: شُرَيحٌ.

قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَغَيْرُهُ [٤٧].

---

[٤٧] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب، كالأبواب التي قبله: في وجوب تعظيم اللَّه تعالى، وأنَّ من تعظيم اللَّه أَلَّا يُسَمَّى غيرُه بالحَكَم.

■ شرح الترجمة:

(احْتِرَام): الاحترام هو التوقير.

(أَسْمَاءِ اللَّه): أي: المختصة به.

(وَتَغْيِيرِ الاسْمِ): وجوبًا.

■ **شرح الباب:**

• **عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّه هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».**

(الحَكَمُ) من أسماء اللَّه تعالى، و(الحُكْمُ) حقٌّ خالصٌ للَّه تعالى، لا يشاركه فيه أحدٌ، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وهو الذي يحكم لا معقِّب لحُكْمِه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١].

يفيد الحديث المنع من التسمية بالحَكَم، ويرد على هذا: أنَّ في الصحابة ﭫ من اسمه الحَكَم، ولم يغيِّره النبيُّ ﷺ، ويُجاب عن ذلك بجوابين:

الأول: أنَّ المنع يكون إذا لوحظ في التسمية معنى الصفة، ويدل عليه حديث الباب في قوله: «إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ».

الثاني: القول بالجواز لكثرة الأحاديث التي فيها تسمية الصحابة بالحَكَم والحَكِيم، ولم يغيِّره النبيُّ ﷺ، ولضَعْفِ حديث الباب، وهذا أقرب.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: المَنْع من التسمية بأسماء اللَّه تعالى تعظيمًا له سبحانه.

التسمية بأسماء اللَّه تعالى لها صور:

الصورة الأولى: التسمية بأسماء اللَّه المختصة به؛ كالتسمية بلفظ الجلالة (اللَّه) و(الرحمن)، هذا لا يجوز، ونقل غير واحد الإجماعَ على ذلك.

الصورة الثانية: التسمية بما لا يليق إلا به، كالتسمية بـ: ملك الملوك، وأحسن الخالقين، ومالك يوم الدين، ونحوها، هذا لا يجوز. وجاء فيه

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: احْتِرَامُ صِفَاتِ اللَّه وَأَسْمَائِهِ وَلَوْ بِكَلَامٍ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: اخْتِيارُ أَكْبَرِ الأَبْنَاءِ لِلكُنْيَةِ.

* * *

حديث: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ**».

الصورة الثالثة: التسمية بالمعرَّف بالألف واللام من الأسماء الحسنى كـ: العزيز، والحكيم، والرؤوف، ونحوها، وهذا جائزٌ إذا كانت التسمية للعَلَمِية فقط، أما إذا لوحظ في التسمية الصِّفَة فيُمنع من ذلك، وعليه يُحمل حديث الباب.

* * *

بَابُ
مَنْ هَزَلَ بِشَيءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللَّه أَوِ القُرْآنِ أَو الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآيَة [التوبة: ٦٥].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ رضي الله عنه -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوك: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤلَاءِ، أَرْغَبُ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبُ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنُ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي: رَسُولَ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ-.

فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ.

فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ.

فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]؟ وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ [٤٨].

[٤٨] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان أنَّ الاستهزاء بشيء فيه ذكر اللَّه أو القرآن أو الرسول كفرٌ. ونقل الإجماع غير واحد من أهل العلم على ذلك.

وأصل ذلك: أنَّ التوحيد والإيمان قائم على تعظيم اللَّه تعالى وتوقيره، والاستخفاف به سبحانه منافٍ لذلك أعظم المنافاة.

■ شرح الترجمة:

(مَنْ هزل): أداة الشرط وفعلها، وجوابها: فقد كفر، حَذَفه للعلم به.

والهزل: المزح، نقيض الجد.

■ شرح الباب:

﴿نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾؛ أي: لم نقصد حقيقة الاستهزاء. وهذا يفيد: أنَّ الاستهزاء باللَّه ورسوله كفرٌ، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء، ونقل ابن العربي وغيره الإجماع على ذلك.

الشاهد من الآية: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]. فأفادت الآية كُفْر مَنْ استهزأ باللَّه ورسوله ودينه.

فإن كان القائل من المنافقين فما توجيه قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾؟

معناه: أي: أظهرتم كفركم.

• وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ رضي الله عنهم -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ..».

أورد المؤلف رحمه الله سببَ نزول الآية مختصرًا، وفي الأصل: أنَّ القائل رَكْبٌ من المنافقين، وفي بعض الروايات: أنَّ الذي جاء معتذرًا هو عبد اللَّه بن أُبي ابن سلول.

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : -وَهِيَ العَظِيمَةُ- : أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا أَنَّهُ كَافِرٌ .

الثَّانِيَةُ : أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ .

الثَّالِثَةُ : الفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ للَّه وَلِرَسُولِهِ .

الرَّابِعَةُ : الفَرْقُ بَيْنَ العَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّه وَبَيْنَ الغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ .

الْخَامِسَةُ : أَنَّ مِنَ الاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ .

* * *

أنواع الاستهزاء باللَّه ورسوله:

النوع الأول : الاستهزاء الصريح ، مثل مقالة القوم التي حكاها اللَّه عنهم ، وما يُصرِّح به الزنادقة في زماننا في مقالاتهم ورواياتهم .

النوع الثاني : استهزاء غير صريح : كالغَمْز بالعَيْن ، ومدِّ اللسان ، ونحو ذلك عند ذكر اللَّه أو القرآن أو الصلاة .

* * *

بَابُ
مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠]. الآية

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ».

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟**

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الإِبِلُ -أَوْ: الْبَقَرُ؛ شَكَّ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ

اللَّه لَكَ فِيهَا .

قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا .

فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: البَقَرُ -أَوْ: الإِبِلُ- فَأُعْطِيَ بَقرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللَّه لَكَ فِيهَا .

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: أَنَّ يَرُدَّ اللَّه إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّه إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالدًا. فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَان لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّه ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ -بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ- بَعِيرًا أَتبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الْمَالَ؟!

فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ!

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّه إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّه إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّه ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ -بِالذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ- شَاةً أَتبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّه إِلَيَّ بَصَرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ. فَوَاللَّه لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّه عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أَخْرَجَاهُ [٤٩].

---

[٤٩] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب إضافة أو نسبة النِّعَم إلى اللَّه تعالى، وهذا الباب كالأبواب قبله: (باب: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾)، (باب: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾)، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد أكثر من باب في هذا المعنى لكثرة المخالفة فيه.

■ شرح الترجمة:

تفسير الترجمة بما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس ومجاهد.

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فُصِّلت: ٥٠].

الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾.

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيمَةِ.

* * *

■ **شرح الباب:**

• **قوله تعالى:** ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ من شأن المعذبين الكافرين نسبة النِّعَم إلى غير اللَّه تعالى، وزعمهم استحقاقهم لها، وهذا ينافي كمال التوحيد.

• **وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى..»**.

الشاهد من الحديث قوله: «**فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ**» بنسبتك للنعمة له عز وجل، «**وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**» بنسبتهما النعمة لغيره -جل وعلا-.

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أنَّ نسبة النِّعمِ إلى اللَّهِ تعالى موجِبٌ لرضا اللَّه، وأنَّ نسبة النِّعَم لغيره موجبٌ لسخطه.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللَّه، كَعَبْدِ عُمَرَ وعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي الآيَةِ قَالَ: «لَمَا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمُ الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعُنِّي، أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَي أُيَّلٍ؛ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، وَلأَفْعَلَنَّ، وَلأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا- سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا فَذَكَر مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ: عَبْدَ الْحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ».

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: «أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا».

وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ، وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا [٥٠].

[٥٠] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب نسبة النعم إلى اللَّه تعالى.

■ شرح الترجمة:

● قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية، على أقوال:

* أشهرها: أنهما آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهذا قول ابن عباس، وتلاميذه؛ كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، وهذا يرجِّحه ابن جرير، وقال: إنه قول الجمهور.

* القول الثاني: أنَّ المراد بالآية: ذرية آدم وحواء، وهذا يميل إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما اللَّه-.

* القول الثالث: المراد: اليهود والنصارى.

* القول الرابع: أنَّ هذا في بعض أهل الملل، ولعل هذا القول يرجع للقول الذي قبله. وهما مرويان عن الحسن البصري بإسناد صحيح، ورجَّحه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

■ شرح الباب:

● قَالَ ابْنُ حَزْم: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ..».

اختلف أهل العلم في التعبيد بالمُطَّلِب، فقيل: إنه محرم، وقيل: جائز، والأقرب: التحريم، ومن يستدل بالجواز فيقول: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في غزوة حنين: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**» لكن يُقال: إن هذا إخبار منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس إنشاءً.

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ .

الثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ الآيَةِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ هِبَةَ اللَّه لِلرَّجُلِ البِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ .

الْخَامِسَةُ : ذِكْرُ السَّلَفِ الفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ، وَالشِّرْكِ فِي العِبَادَةِ .

* * *

• **وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي الآيَةِ قَالَ : «لَمَا تَغشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ : إِنِّي صَاحِبُكُمُ الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ ..» .**

قوله : «**سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ**» كان اسم إبليس في الملائكة : الحارث ، قاله سعيد بن جبير .

• **وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته .**

مراد قتادة رحمه الله : أنَّ قوله سبحانه : ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ﴾ : الإشراك في الطاعة لا في العبادة .

* * *

بَابُ
قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآيَةَ

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: «يُشْرِكُونَ».

وَعَنْهُ: «سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ».

وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا» [٥١].

---

[٥١] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف هذا الباب: لبيان المنع من الإلحاد في أسماء اللَّه وصفاته.

■ **شرح الترجمة:**

● **قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية.**

﴿وَلِلَّهِ﴾: اللام هنا للاستحقاق، أو الاختصاص؛ يعني: أن اللَّه مستحقٌّ للأسماء الحسنى، أو مختص بها.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: البالغة في الحُسْن غايته.

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: يعني: فاسألوه بها، أو أثنوا عليه بها.

جاء عند البخاريِّ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ.

المراد «مَنْ أَحْصَاهَا»: حَفِظَها، وقيل: فَهِمَها، وقيل: دعاؤه بها. والأول الصحيح، يؤيده رواية: «مَنْ حَفِظَهَا».

﴿وَذَرُواْ﴾: يعني: اتركوا. والمراد به: التهديد والوعيد؛ كقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾.

وقيل: اتركوا الملحدين ولا تحاجوهم. والأول أصح.

﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يعني: يميلون في أسماء اللَّه وصفاته. وقيل: يُكذِّبون. وقيل: يشركون.

والإلحاد: يُراد به: الميل، أو العدول عن الحق.

الإلحاد درجات، منها: جحد أسماء اللَّه وصفاته، تأويل معناها، تشبيه صفات اللَّه تعالى بصفات خلقه.

■ **شرح الباب:**

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: **«يُشْرِكُونَ»**

• **وَعَنْهُ: «سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ».**

فسَّر ابن عباس الإلحاد في أسماء اللَّه تعالى بإشراك المماثلة، بتسمية المخلوق بأسماء اللَّه عز وجل؛ كاللات من الإله، والعزى من العزيز.

• **وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».**

كلام الأعمش ككلام ابن عباس رضي الله عنهما، ويدخل فيه: تسميته سبحانه بما لم يسمِّ به نفسه كتسمية النصارى له: أبًا، والفلاسفة: علة فاعلة.

* * *

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهَا حُسْنَى.

الثَّالِثَةُ: الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ الْمُلْحِدِينَ.

الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الإِلْحَادِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ: الوَعِيدُ لِمَنْ أَلْحَدَ.

❊ ❊ ❊

بَابُ
لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ**» [٥٢].

---

[٥٢] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، وأنَّ من لوازم تعظيمه: أَلَّا يُقال: السلام على اللَّه.

■ شرح الترجمة:

(لَا): نافية.

(السَّلَام): اسمٌ من أسماء اللَّه، معناه: السالم من النقائص، أو المُسلِّم لعباده من الآفات.

■ شرح الباب:

• **فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ..).**

«لَا تَقُولُوا»: هذا نهي، والنهي يقتضي التحريم.

وجه المنع: أنَّ اللَّه تعالى هو السَّلام؛ كما فسَّره النبيُّ ﷺ، فهو سبحانه هو

*** فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ السَّلَامِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ للهِ.

الرَّابِعَةُ: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ لِلَّهِ.

* * *

المطلوب منه لا المطلوب له، وهو الذي يُدْعَى لا يُدْعَى له.

المشروع أن يقول: السلام عليكم.

ومعنى (السلام عليكم)؛ يعني: اسم اللَّه تعالى عليكم متبركًا به. وقيل: معنى السلام عليكم: دعاءٌ بالسلامة من الآفات.

* * *

بَابُ
قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**».

وَلِـ«مُسْلِمٍ»: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**» [٥٣].

---

[٥٣] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، ومن لوازم تعظيمه: الجزم بالمسألة في الدعاء، وعدم تعليقها بالمشيئة.

■ **شرح الترجمة:**

(اللَّهُمَّ): سبق بيان معناها.

(إِنْ شِئْتَ): تعليق الدعاء بالمشيئة.

■ **شرح الباب:**

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ..».**

«لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»: يفيد تحريم تعليق الدعاء بالمشيئة، وقيل: يكره.

* **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : النَّهْيُ عَنِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ .

الثَّانِيَةُ : بَيَانُ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ .

الثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ : «**لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ**» .

الرَّابِعَةُ : إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ .

الْخَامِسَةُ : التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ .

* * *

وسبب المنع من ذلك : قوله في الحديث : «**فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرِهُ لَهُ**» وقوله في الرواية الأخرى : «**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**» . ولأن تعليق الدعاء بالمشيئة يُشعر بضعف الرغبة ، وهو مناف للافتقار والتذلل للَّه تعالى .

ما ورد من الأحاديث التي فيها تعليق الدعاء بالمشيئة ؛ كقوله ﷺ كما في البخاري : «**لَا بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» وجَّهه العلماء بتوجيهين :

* **التوجيه الأول :** أن ذِكْر المشيئة هنا للتبرُّك .

* **التوجيه الثاني :** أن قوله : «**لَا بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» : خبرٌ وليس دعاءً .

* * *

بابٌ
لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ. وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ.**
وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي» [٥٤].

---

[٥٤] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، ومن لوازم تعظيمه: أَلَّا يقول: عَبْدِي وأمَّتي.

■ **شرح الترجمة:**

(**لَا يَقُولُ**): لا نافية.

(**عَبْدِي وَأُمَّتِي**): مُنع من ذلك تأدُّبًا مع اللَّه تعالى؛ لأنَّ في ذلك إيهامًا للمشاركة في الربوبية.

■ **شرح الباب:**

قوله: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ**» حمله بعضهم على التحريم، وبعضهم حمله على الكراهية.

«**أَطْعِمْ رَبَّكَ**»: يفيد المنع من قول: (ربي، ربك) لغير اللَّه تعالى، والعلة في النهي: أنَّ الربَّ على الحقيقة هو اللَّه تعالى؛ لأنَّه المالك المتصرف.

والذي يختص باللَّه تعالى إطلاق الرب بلا إضافة، أما مع الإضافة فيجوز

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ: عَبْدِي وَأَمَتِي.

الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ العَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ.

إطلاقها على غيره كما في قوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وقوله في الحديث: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّهَا**». ويُحمل النهي في حديث الباب على كراهة التنزيه.

وجعل بعض أهل العلم: المنع عند المخاطبة؛ كما جاء في الحديث، أما الإخبار فيجوز، كقول: عَبْد فلان، أو أَمَة فلان.

قوله: «وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ»: هذا فيه جواز إطلاق لفظ السيد على غير اللَّه تعالى.

إطلاق السَّيِّد على غير اللَّه تعالى له أحوال:

الأولى: إطلاقه على الكافر أو المنافق، هذا لا يجوز، قال ﷺ فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح: «**لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ**».

الثانية: إطلاقه على النبيِّ ﷺ، هذا حق، قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**».

الثالثة: الإخبار به عن أحد، هذا جائز، كقوله ﷺ في البخاري: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ». وكقوله -عليه الصلاة والسلام- في البخاري: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ».

الرابعة: المخاطبة به، وحديث الباب يدل على الجواز، وبعضهم يجعل الجواز محصورًا في قول العبد أو الأمة لسيِّده: سيِّدي، أمَّا مَنْ عداه فلا يجوز.

قوله: «وَمَوْلَايَ» جواز قول: مولاي، وما جاء في زيادة مسلم: «**لَا يَقُلِ العَبْدُ لِسَيِّدِ: مَوْلَايَ، فَإِنَّ مَوْلَاكُمِ اللَّهُ** ﷻ»، فإنها شاذة لم تثبت.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي.

الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ.

الْخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الأَلْفَاظِ.

* * *

بَابٌ
لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّه فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّه فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُم قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**».

رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالنَّسَائِيُّ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ [٥٥].

---

[٥٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: في بيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، وأنَّ من لوازم تعظيمه: ألا يُرَد من سأل باللَّه تعالى.

■ شرح الترجمة:

(**لا**): النافية.

(**مَنْ**): موصولة بمعنى الذي.

(**سأل باللَّه**): أي: أسألك باللَّه.

■ شرح الباب:

قوله: «**وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ**» وفي رواية: «**مَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ فَأَعْطُوهُ**».

قوله: «**فَأَعْطُوهُ**» الأمر للوجوب، فمن سأل باللَّه فتجب إجابته، ويحرم ردُّه.

وقيل: إنَّ قوله: «**فَأَعْطُوهُ**» محمول على الاستحباب، فمن سأل باللَّه فتستحب إجابته ويكره ردُّه.

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ .

الثَّانِيَةُ : إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ .

الثَّالِثَةُ : إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ .

الرَّابِعَةُ : الْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ .

الخَامِسَةُ : أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ .

السَّادِسَةُ : قَوْلُهُ : «**حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» .

* * *

ومثل ذلك : إبرار المقسم، جاء في «الصحيحين» : «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ، وذكر منها : إِبْرَارُ الْمُقْسِمِ» .

والظاهر : أنَّ وجوب إجابة السائل إذا سأل حقًّا له، أو كان مضطرًّا، أو محتاجًا، وكان المسؤول قادرًا على الإجابة .

قوله : «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ**» . من استعاذ باللَّه فإنه يُشرع أن يُعاذ .

* * *



بَابٌ
لَا يُسْأَلُ بِوجهِ اللَّه إِلَّا الجَنَةَ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجهِ اللَّه إِلَّا الْجَنَّةَ**».

رَوَاهُ أَبُو دَاودَ [٥٦].

---

[٥٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب كالأبواب السابقة: في بيان وجوب تعظيم اللَّه تعالى، ومن لوازم تعظيمه: تعظيم صفاته، فلا يُسأل بوجهه سبحانه إلا الجنة إجلالًا لوجه اللَّه العظيم، فلا يُسأل به إلا غاية المطالب، وهي الجنة.

■ **شرح الترجمة:**

(**لا**): هذا نفيٌ، وفي رواية: نهي، والنفي أوكد من النهي.

(**يُسْأَل**): السؤال هو الدعاء.

(**وَجْه اللَّه**): الوجه من صفات اللَّه تعالى الذاتية التي يثبتها أهل السُّنة كما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

■ **شرح الباب:**

● **عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجهِ اللَّه إِلَّا الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.**

المعنى: أنَّ التوسُّل بالعظيم فيما عَظُم، والتوسُّل بالعظيم في الحقير تحقيرٌ

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَا غَايَةُ الْمَطَالِبِ .

الثَّانِيَةُ : إِثْبَاتُ صِفَةِ الوَجْهِ .

* * *

له ، ووجه اللَّه سبحانه وتعالى له الجلال والعظمة والكمال المطلق ؛ فالتوسل به في سؤال الجنة التي هي أعظم مطالب المؤمن مناسب .

* * *



بَابُ
مَا جَاءَ فِي اللَّوِّ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران : ١٥٤] الآيَةَ .

وَقَوْلِهِ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران : ١٦٨] الآيَةُ . الآيَةَ .

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّه وَمَا شَاءَ فَعَلَ ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» [٥٧] .

---

[٥٧] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب : لبيان تحريم استعمال (لو) على سبيل الاعتراض على القدر، والأسف على ما يقع من العبد .

■ شرح الترجمة:

(مَا جَاء) : فيما يجوز ولا يجوز .

(اللَّوْ) : ومثلها : يا ليت .

■ **شرح الباب:**

● **قوله سبحانه:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾.

● **قوله:** ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾.

مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراد الآيتين: أنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ذمَّ المنافقين على اعتراضهم على القَدَر، وأسفهم على ما كان منه باستعمالهم كلمة (لو).

● **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ..».**

الشاهد من الحديث: «لَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا.. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

قوله: «لَا تَقُلْ»: نهي، والنهي يقتضي التحريم. وقيل: إنَّ النَّهْي للتنزيه.

قوله «قدَّر اللَّه» الحديث جاء بروايتين:

الرواية الأولى: «قَدَّرَ اللَّه» بالتشديد.

والرواية الثانية: «قَدَرُ اللَّه» بالتخفيف.

قوله: «لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ»: في الاعتراض على القَدَر.

مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراد الحديث: أنَّ استعمال «لَوْ» في الاعتراض على القَدَر من عمل الشيطان، فهو محرم.

«لَوْ» لها حالتان:

الحالة الأولى: استعمال «لَوْ» في الاعتراض على الشرع وأحكامه، كقوله: لو أن اللَّه تعالى ما أوجب خمس صلوات في اليوم والليلة. هذا محرم.

الحالة الثانية: استعمال «لَوْ» في الاعتراض على القَدَر، ولها استعمالات:

*** فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ «لَوْ أَنِّي»، إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيلُ الْمَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.

الرَّابِعَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَامِ الْحَسَنِ.

الْخَامِسَةُ: الأَمْرُ بِالحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ.

السَّادِسَةُ: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ العَجْزُ.

*** الاستعمال الأول:** استعمالها في الخبر، مثل: (لَوْ زُرْتَني لأَكْرَمْتُك)، هذا استعمال جائز.

*** الاستعمال الثاني:** استعمالها في تَمنِّي الخير، مثل: (لو كان عندي مالٌ لتصدَّقتُ به)، هذا الاستعمال مشروع.

*** الاستعمال الثالث:** استعمالها على وجه التأسُّف على الماضي، مثل: (لو لم أسافر لَمَا وقع لي حادث)، هذا محرَّمٌ وممنوع، وهو المراد في هذا الباب.

*** الاستعمال الرابع:** استعمال (لَوْ) في تمنِّي الشَّر، مثل: (لو كان عندي مالٌ لشربتُ الخمر)، هذا الاستعمال ممنوع.

*** الاستعمال الخامس:** استعمال (لَوْ) في التأسُّف على ما فات من الطاعة، مثل قوله ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ**»، وهذا جائز.

وعقد البخاري (باب: ما يجوز من اللَّوْ)، أورد أحاديث تدل على جواز استعمال (لَوْ)؛ كقوله: «**لَوْلَا حِدْثَانُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ..**»، «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ..**».

* * *

بَابُ
النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبِيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**» . صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ [٥٨] .

---

[٥٨] لماذا عقد المصنف هذا الباب ؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب : لبيان المنع من الاعتراض على قدر اللَّه وخَلْقه ؛ لأنَّ الريح من خلق اللَّه ، وهي مأمورة بقَدَر اللَّه .

■ شرح الترجمة:

(النَّهْي) : طلب ترك الفعل .

(السَّبّ) : الشتم ، والتقبيح ، واللَّعْن .

■ شرح الباب:

● **عَنْ أُبِيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ . . » .**

«**لَا**» : ناهية . والنهي يقتضي التحريم ، وقيل : النهي للتنزيه ؛ لأنَّه من باب الأدب .

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ.

الثَّانِيَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ.

الثَّالِثَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.

* * *

«**تَسُبُّوا**»: أي: الشَّتْم والتقبيح، ويفسِّره رواية الترمذي: «لَا تَلْعَنُوا الرِّيحَ».

وجاء في رواية عند أحمد وابن ماجه: «**فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ**»؛ يعني: فَرَجه ورحمته. وفي رواية عند أحمد: «**فَإِنَّهَا تَجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ**». وفي رواية عند الترمذي: «**فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، وهذا تعليلٌ للمنع.

* * *



بَابُ
قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ الآية [الفتح: ٦].

قَالَ ابْنُ القَيِّم -فِي الآيَةِ الأُولَى-: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللَّه وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ القَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يَتِمَّ أَمْرُ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي «سُورَةِ الفَتْحِ»، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّه يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيهَا الْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [صٓ: ٢٧].

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّه ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّه وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ، لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ، هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا» [٥٩]

---

[٥٩] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب حُسْن الظَّنِّ باللَّه، وذمِّ سوء الظن به سبحانه.

■ شرح الترجمة:

● قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

المراد بهم: المنافقون.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: أي: أنَّ أَمْرَ النبيِّ ﷺ باطلٌ، وأنه لا يُنصر.

﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: أي: ظن أهل الجاهلية. وأهل الجاهلية: هم أهل الشِّرك.

والجاهلية نسبة إلى الجَهْل؛ أي: لا يعرفون التوحيد والدين. فالجهل هنا: عدم العلم.

والجاهلية من إطلاقات القرآن التي لم تُعرف قبله، وصف به أهل الشرك تنفيرًا منهم.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ ظنَّ السُّوء باللَّه تعالى من خصال المنافقين الذين ذمَّهم سبحانه، وألحق فِعْلَهم بفِعْلِ أهل الجاهلية والشِّرك.

* * *

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ.

■ **شرح الباب:**

قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾

﴿ٱلظَّآنِّينَ﴾: هم المشركون والمنافقون، كما دلَّ عليه السياق.

﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ﴾: أنَّ اللَّه لا ينصر نبيَّه ﷺ.

﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾: بفتح السين وضمها؛ أي: المكروه.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنَّ ظنَّ السوء باللَّه تعالى من خصال المشركين المنافقين الذين ذمَّهم سبحانه، وألحق فِعْلَهم بفِعْلِ أهل الجاهلية والشرك.

والمسلم مأمورٌ بأَنْ يُحْسِنَ الظنَّ باللَّه كما جاء في «صحيح مسلم»: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ**»، وفي البخاري: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»، زاد أحمد: «**فَإِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ**».

ومعنى (حُسْنِ الظَّنِّ باللَّه): أَنْ يُوقِنَ العبدُ بما وَعَد اللَّه به أولياءه من الرحمة، واللُّطْف، والعطاء، والنصر، والتمكين.

• **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية الأولى: «فُسّر هذا الظن..».**

فسَّر ابنُ القيِّم سُوءَ الظَّنِّ بثلاثة أمور:

* **الأمر الأول:** إنكار القضاء والقَدَر.

* **الأمر الثاني:** إنكار الحكمة منه.

* **الأمر الثالث:** الظنُّ بأنَّ اللَّه لا ينصر رسولَه، وأن دينه سيضمحل.

* * *

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

* * *

باب
ما جاءَ في مُنْكِري القَدَرِ

وَقالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّه ما قَبِلَهُ اللَّه مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الإِيْمانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». رَواهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قالَ لابْنِهِ: يا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ ما أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللَّه القَلَمُ، فَقالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقالَ: رَبِّ! وَماذا أَكْتُبُ؟ قالَ: مَقادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

يا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ماتَ عَلَى غَيْرِ هَذا فَلَيْسَ مِنِّي**».

وَفِي رِوايَةٍ لأَحْمَدَ: «**إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللَّه تَعالَى القَلَمُ، فَقالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِما هُوَ كائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ**».

وَفِي رِوايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللَّه بِالنَّارِ**».

وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَ«السُّنَنِ» عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّه يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي.

فَقَالَ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ» [٦٠].

---

[٦٠] لماذا عقد المصنف هذا الباب.

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب الإيمان بالقضاء والقَدَر.

■ شرح الترجمة:

(مَا جَاءَ): أي: من الوعيد.

(مُنْكِرِي): المُنْكِرون للقَدَر طائفتان: الأولى: يُنكرون عِلْمَ اللَّه بالأشياء وكتابته لها. الثانية: يُنْكِرون الخَلْق والمشيئة.

(القَدَر): عِلْمُ اللَّه بالأشياء وكتابته لها وخلقه ومشيئته.

• وَقالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ..).

مراد المؤلف من إيراد الحديث: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

• وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ..).

قوله: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ». في «سنن أبي داود»: «لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ».

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : بَيَانُ فَرْضِ الإِيْمَانِ بِالقَدَرِ .

الثَّانِيَةُ : بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الإِيمَانِ بِهِ .

الثَّالِثَةُ : إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ .

الرَّابِعَةُ : الإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ .

الْخَامِسَةُ : ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ .

السَّادِسَةُ : أَنَّهُ جَرَى بِالْمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

السَّابِعَةُ : بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ .

الثَّامِنَةُ : عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاءِ .

التَّاسِعَةُ : أَنَّ العُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ الشُّبْهَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الكَلَام إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَطْ .

* * *

- **قوله : (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّه القَلَمُ ..) .**

فيه : إثبات مرتبة الكتابة .

وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَ«السُّنَنِ» عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : (أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ ..) .

في هذا الأثر : أنَّ الصحابة رضي الله عنهم يرون وجوب الإيمان بالقضاء والقَدَر ، وأَنَّ مُنْكِرَه كافرٌ .

* * *

بَابُ
مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّه تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَو لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَو لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عذَابًا يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّه**».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيسَ بِنَافِخٍ**».

وَلِـ«مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ **أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**» [٦١].

---

[٦١] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان تحريم التصوير.

■ **شرح الترجمة:**

(مَا جَاءَ): يعني: من الوعيد.

(المُصَوِّرِينَ): جمع مُصَوِّرٍ، وهو الذي يقوم بالتصوير.

■ **شرح الباب:**

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «قَالَ اللَّه تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي . . »**.

«وَمَنْ أَظْلَمُ»: أي: لا أظلم.

«فَلْيَخْلُقُوا»: أَمْرُ تَعْجِيزٍ.

• **عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عذَابًا يَوم القِيامَةِ . . »**.

يدل الحديث على كُفْرِ الذين يُصوِّرون التصاوير؛ لأنَّهم أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة، وهذا محمولٌ على صورتين، هما:

الصورة الأولى: أن يصنع الصورة لتُعبَد من دون اللَّه تعالى.

الصورة الثانية: أن يقصد بالتصوير مُجاراة خلق اللَّه تعالى.

أما ما عدا ذلك؛ فهو كبيرةٌ من كبائر الذنوب، وصاحبه مُتوعَّد بالنار.

• **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا . . »**.

دليل على أن التصوير من الكبائر؛ لأنَّه متوعَّد عليه بالنار.

• **عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ رضي الله عنه: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً . . »**.

*** فِيهِ مَسَائِلُ :**

الأُولَى : التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ عَلَى الْمُصَوِّرِينَ .

الثَّانِيَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى العِلَّةِ ، وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ ؛ لِقَوْلِهِ : «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**» .

الثَّالِثَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِم ، بِقَوْلِهِ : «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً**» .

مجموع النصوص يدل على : أن التصوير محرم لعلتين :

العلة الأولى : مضاهاة خلق اللَّه ، والمضاهاة ؛ يعني : المشابهة والمجاراة .

العلة الثانية : أنَّ التصوير والتصاوير ذريعةٌ للشرك .

والتصوير على أنواع:

*** النوع الأول :** النَّحْت ؛ والمقصود نَحْتُ ما له روحٌ ، هذا محرمٌ بالإجماع .

*** النوع الثاني :** الرَّسْم باليَد : هذا محرَّم عند جمهور أهل العلم ، والمقصود رَسْم ذوات الأرواح ، ويرتفع التحريم بقطع الرأس أو طمس الوجه .

*** النوع الثالث :** التصوير بالآلات الحديثة ، وهذا نوعان :

النوع الأول : ما دعت إليه الضرورة ؛ كبطاقة الأحوال والجواز ، ونحوها ، فهذا جائز .

النوع الثاني : ما ليس بضرورة : ففيه خلاف مشهور بين أهل العلم ، واختار الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن باز القول بالتحريم .

*** النوع الرابع :** تصوير ما لا روح فيه ، الجمهور على الجواز ، واختار مجاهد بن جبر التحريم .

* * *

الرَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا .

الْخَامِسَةُ: أَنَّ اللَّه يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا الْمُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ .

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ .

السَّابِعَةُ: الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ .

❊ ❊ ❊



بَابُ
مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلكَسْبِ**». أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَا بِيَمِينِهِ**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً؟ «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**».

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**».

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»[٦٢].

---

[٦٢] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب حفظ الأيمان لما في ذلك من تعظيم اللَّه تعالى؛ لأنَّ كثرة اليمين تُشْعِر بالاستخفاف.

■ **شرح الترجمة:**

(مَا جَاءَ): أي: من الذم.

(كَثْرَة الحَلِف): إذا كان صادقًا.

■ **شرح الباب:**

قوله: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: أي: بتَرْك الحَلِف.

وقيل: بالمبادرة إلى الكفارة إذا حنثتم.

● **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلكَسْبِ».**

«الحَلِف»: أي: اليمين، وهي لفظ مسلم، والمراد به: كثرة الحَلِف، ويؤيده رواية مسلم: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ**».

وقيل: المراد بها: اليمين الكاذبة، وهو لفظ أحمد.

«مَنْفَقَة»: بفتح الأول والثالث وسكون الثاني، من النَّفَاق، وهو الرَّواج.

وفي رواية: «مُنَفِّقَة» بضم الميم، وفتح النون، وتشديد الفاء المكسورة. وفي رواية: «مُنْفِقَة».

«مَمْحَقَة»: بفتح الأول والثالث وسكون الثاني، وفي رواية: «مُمحقة»؛ أي: سببٌ لذهاب البركة. وفي رواية لمسلم: «**مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ**».

* فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : الوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الأَيْمَانِ .

الثَّانِيَةُ : الإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ .

والحَلِف في البيع والشراء مكروه ، وإذا كان كاذبًا ؛ فهو محرم .

• **وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : أُشَيْمِطٌ زَانٍ . . » .**

الشاهد من الحديث : (ورجل جعل اللَّه بضاعته لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه) .

ففيه : ذم كثرة الحلف .

• **وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «خَيْرُ أُمَّتِي . . » .**

الشاهد من الحديث قوله : «**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**» .

فيه : أن هؤلاء محل الذم يسارعون إلى اليمين والشهادة استخفافًا بها .

• **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ » .**

«**قَالَ إِبْرَاهِيمُ**» : يعني : (النَّخعي) .

«**كَانُوا يَضْرِبُونَنَا**» : يعني : يؤدِّبوننا على الشَّهادة ؛ يعني : على شهادة الزُّور ، أو على عدم أداء الشهادة .

«**العَهْد**» : يعني : التزامه .

* * *

الثَّالِثَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِهَا.

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

الْخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.

السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى القُرُونِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ.

❊ ❊ ❊



بَابُ
مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] الآيَةَ.

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولَ اللَّه ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّه وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: «**اُغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اُغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ فَادْعُهُم إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّه تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَقَاتِلْهُم. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.**

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ [٦٣].

---

[٦٣] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان وجوب حفظ ذمة اللَّه تعالى وذمة نبيه ﷺ؛ لأنَّ ذلك دليلٌ على تعظيم اللَّه وتعظيم رسوله.

■ **شرح الترجمة:**

(مَا جَاءَ): من وجوب حفظها وتعظيمها.

(ذِمَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ): يعني: العهد والميثاق.

■ **شرح الباب:**

● **قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ الآية.**

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: لفظ عام يشمل جميع ما يُعقد باللسان ويلتزمه الإنسان.

مراد المؤلف من إيراد الآية: أنّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أمر بالوفاء بعهده.

● **عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولَ اللَّه ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّه وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا..).**

الشاهد من الحديث قوله: «فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ»؛ يعني: تنقضوا ذممكم وذمم أصحابكم **«أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا»**؛ يعني: تنقضوا **«ذِمَّةَ اللَّهِ، وَذِمَّةَ رَسُولِهِ»**.

* * *

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: الفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللَّه وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَبَيْنَ ذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

الثَّانِيَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الأَمْرَيْنِ خَطَرًا.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللَّه فِي سَبِيلِ اللَّه**».

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «**قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّه**».

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «**اسْتَعِنْ بِاللَّه وَقَاتِلْهُمْ**».

السَّادِسَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللَّه وَحُكْمِ العُلَمَاءِ.

السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللَّه أَمْ لَا؟

* * *

بَابُ
مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عز وجل: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» [٦٤].

---

[٦٤] لماذا عقد المصنف الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان تحريم الإقسام على اللَّه على سبيل التعاظم والغرور؛ لأنَّ ذلك منافٍ لكمال التوحيد.

■ **شرح الترجمة:**

(مَا جَاءَ): من الوعيد.

(الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ): أي: الحَلِف على اللَّه أن يفعل، أو لا يفعل.

■ **شرح الباب:**

● **عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّه لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عز وجل ..».**

مراد المؤلف من إيراد الحديث: أن الإقسام على اللَّه على سبيل التعاظم

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: التَحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللَّه.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ...**» إلخ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

* * *

والغرور موجب لحبوط العمل.

الإقسام على اللَّه على نوعين:

* **النوع الأول:** ما كان على سبيل التعاظُم والغرور: هذا محرم، ويدل عليه حديث الباب.

* **النوع الثاني:** ما كان على سبيل حُسْن الظَّنِّ باللَّه واليقين بوعده: وهذا جائز، ومنه حديث: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ**» رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم، وهذا على تفسير «لو أقسم»: حلف، وقيل: دعا.

* * *

بَابُ
لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّه عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللَّهِ!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!**».

فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟! إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ [٦٥].

---

[٦٥] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب: لبيان المنع من الاستشفاع باللَّه على خلقه؛ لأنَّ شأنَ اللَّه عظيم.

■ شرح الترجمة:

(لا): نافية، والنفي أبلغ من النهي.

(يستشفع باللَّه على خلقه): المراد بالاستشفاع باللَّه على خلقه: أي: جعل اللَّه شفيعًا عند أحدٍ من خلقه، هذا محرم، والعلة في المنع: أن هذا ينافي تعظيم اللَّه تعالى.

* فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «نَسْتَشْفِعُ بِاللَّه عَلَيْكَ».

الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ».

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ «سُبْحَانَ اللَّهِ».

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الاسْتِسْقَاءَ.

* * *

■ شرح الباب:

• عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ العِيَالُ..).

الشاهد من الحديث: قوله: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ».

* * *



بَابُ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللَّه -تَبَارَك وَتَعَالَى-**».

قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا.

فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَولِكُمْ، أَو: بَعْضِ قَولِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا.

فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقُوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ [٦٦].

---

[٦٦] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: لبيان حماية النبيِّ ﷺ حِمَى التوحيد بسَدِّه طُرُق الشرك القولية.

وفي أول الكتاب: (ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد) وهو في سدِّ

طُرُق الشِّرْك العملية.

■ **شرح الترجمة:**

(حِمَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ): حماية الشيء: حِفْظُه وصِيانته مما يضره.

(حِمَى التَّوْحِيدِ): المراد به: حِفْظُه ووقايته ممَّا يُنافي أَصْلَه، أو كماله الواجب.

■ **شرح الباب:**

● **عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّه -تبَارَك وَتَعَالَى-».**

«أَنْتَ سَيِّدُنَا»: السَّيِّدُ: هو المُطاع في قومه.

«السَّيِّدُ هُوَ اللَّهِ»: السيد هنا: هو المالك والرَّبُّ. والسيِّد: اسم من أسماء اللَّه تعالى؛ لصحة هذا الخبر.

ومضى الكلام عن صور إطلاق السَّيِّد على غير اللَّه، وحُكْم كلِّ صورة.

«أَفْضَلُنَا فَضْلًا»: أي: مَزِيَّة ومرتبة.

«أَعْظَمُنَا طَوْلًا»: أي: عطاء.

«قُولُوا بِقَوْلِكُمْ»: أي: مجموع قولكم.

«أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ»: أي: اقتصروا على بعضه.

«وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»: أي: لا يتخذنكم جَرِيًّا -بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية؛ أي: كثير الجَرْي في متابعته. وقيل: لا يتخذنَّكم رسولًا ووكيلًا عنه.

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَحْذِيرُهُ النَّاسِ عَنِ الغُلُوِّ.

الثَّانِيَةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: أَنْتَ سَيِّدُنَا.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «**لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الْحَقَّ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي**».

* * *

• **وَعَنْ أَنَسٍ ﷛ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ..».**

هذا الحديث بمعنى حديث ابن عباس ﭭ.

مراد المؤلف من إيراد الحديثين: سَدُّ النبيِّ ﷺ الطُّرُق القولية المؤدِّية للشِّرْك.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآيَةَ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّه يَجْعَلُ السَّمَاوَات عَلَى إِصْبعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآيَةُ [الزمر: ٦٧] الآيَة.

وَفِي رِوَايَةٍ لِـ«مُسْلِمٍ»: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ «لِلبُخَارِيِّ»: «يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ».

وَلِـ«مُسْلِم» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -مَرْفُوعًا-: «**يَطْوِي اللَّه السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ

فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَا السَّمَاوَات السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**».

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّه فَوْقَ العَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّه.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّه. قَالَهُ الْحَافِظُ الذَهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى-، قَالَ: «وَلَهُ طُرُقٌ».

وَعَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟**».

قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللَّه تَعَالَى فَوقَ ذَلِك، وَلَيْسَ**

يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ وَغَيْرُهُ [٦٧].

---

[٦٧] لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب، وختم به كتاب التوحيد: لبيان أنَّ سبب وقوع الناس في الشرك غيابُ عظمة اللَّه تعالى، وهذا من حُسْنِ ترتيب المؤلِّف، فإنه خَتَم هذا الكتاب ببيان السبب المُوصِل إلى الإشراك باللَّه، وهو غياب عظمة اللَّه تعالى.

■ شرح الترجمة:

• **قوله:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾:

﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾: الكلام عن المشركين الذين عبدوا غيره. وقيل: عن الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة اللَّه تعالى. وقيل: عن اليهود الذين سألوا النبيَّ ﷺ عن صفة اللَّه تعالى. وسياق الآية ردٌّ على هذه الطوائف جميعًا.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: أي: وما عظَّموا اللَّه حقَّ تعظيمه.

■ شرح الباب:

• **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ..).**

مناسبة إيراد الحديث للترجمة: أنَّ في الحديث: بيان عظمة اللَّه تعالى وقوته وقدرته، فكيف يُعبد غيره؟

• **وَلِـ«مُسْلِمٍ» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -مَرْفُوعًا-: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟...».**

مناسبة إيراد الحديث للترجمة: أنَّ في الحديث كمالَ مُلْكِ اللَّه تعالى وقدرته، فكيف يُعبَد غيره؟

* **فِيهِ مَسَائِلُ:**

الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ الآيَةَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اليَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ القُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ.

• **وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ..».**

• **وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا السَّمَاوَات السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ..».**

• **وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ..».**

مناسبة إيراد الحديث وأثر ابن عباس وأبي ذر رضي الله عنهم للترجمة: أنَّ فيهما بيان عظمة اللَّه تعالى ببيان عظمة مخلوقاته، فكيف يُعبَد غيره؟

• **وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ..».**

• **وَعَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟»...**

مناسبة إيراد الحديث وأثر ابن مسعود رضي الله عنه للترجمة: أنَّ فيهما إثبات علوِّ اللَّه تعالى على خَلْقِه، فكيف يُعبَد غيره؟

الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ الْكَثِيرِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَبْرِ هَذَا العِلْمَ العَظِيمَ.

الْخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اليَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي اليَدِ اليُمنَى، وَالأَرَضِينَ فِي اليَدِ الأُخْرَى.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا: الشِّمَالَ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «**كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ**».

التَّاسِعَةُ: عَظَمَةُ الكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ.

العَاشِرَةُ: عَظَمَةُ العَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ العَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِيِّ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ العَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ.

السَّادِسَةُ عَشْرَةَ: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ العَرْشِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ البَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهُ مَسِيْرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ.

وَاللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا

*   *   *

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

❊ ❊ ❊